

# خير الناس لأهل

عرض وتحليل

للسائل الاجتماعي للنبي الكريم ﷺ

تأليف

انجوغو امبكي صمب

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ .  
أما بعد :

فإن السيرة النبوية المطهرة تعتبر التطبيق العملي والتفسير الحي للمبادئ الإسلامية والتعاليم الربانية ، ذلك لأن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأخلاقه تجسيد لما في الكتاب والسنة من شرائع الهدى ومعالم الرشاد ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه : سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : (( كان خلقه القرآن : يغضب لغضبه ويرضى لرضاه. ))<sup>1</sup>

وهذا الحديث دليل على عظمة أخلاقه وشمولها لجميع الفضائل من صحة الإيمان ، وتمام العبادة ، والسلامة من جميع الرذائل .  
وموضوع الشمائل النبوية تحتل من بين موضوعات السيرة النبوية مكانة عالية وتحظى بأهمية عظيمة لتعلقه بصفات النبي ﷺ وأخلاقه ، والتعرف عليه يعين المسلم على

<sup>1</sup> رواه مسلم 1/148 ، مسند الإمام أحمد بن حنبل (6/91) واللفظ له ، الناشر مؤسسة الرسالة ط2 - 1420هـ - 1999م ، والنسائي وقال الألباني رحمه الله (( صحيح لغيره )) انظر : صحيح الأدب المفرد ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ص 131 ، الناشر دار الصديق - 1421 ( بدون مكان النشر )

الإقتداء بالنبي ﷺ والتشبه به ، وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }<sup>1</sup> .

ولا غرابة في عناية المحدثين والمؤرخين بموضوع الشمائل النبوية من ناحية النقل والرواية ، والفهم والدراية ، فقد عقد له بعضهم أبوابا وفصولا في مدوناتهم ، وأفرد له آخرون مصنفات خاصة ، فحفظوا لأجيال الأمة الإسلامية ملامح شخصية نبيهم الكريم ﷺ ومظاهر سلوكه القويم ، حتى كأنهم يرونه رأي العين .

هذا ، وإذا كان هناك جانب من سيرة النبي ﷺ وشمائله مغيبا عن واقع حياة المسلمين المعاصرة فيمكن أن يقال بأنه هو ذلك الجانب المتعلق بالحياة الاجتماعية والأسرية عند النبي ﷺ .

فكم من المسلمين من يجتهد في أن يصلي كما كان النبي ﷺ يصلي ؟ وكم منهم من يلبس كلبسته ، ويمشي كمشيته ، ولا يترك شيئا من سنن العبادات ولا من نوافل الطاعات إلا نال منها بحظ وافر ؟ وفي ذلك أجر كبير وثواب جليل إن شاء الله .

والغريب في الأمر هو أن تجد من هؤلاء وأولئك من هم بعيدون كل البعد عن هدي النبي الكريم ﷺ في التعامل مع أزواجه وأولاده وأقاربه وخدمه وسائر من له به علاقة قريبة أو بعيدة ، فتلقاهم مقصرين في حقوق أهلهم ، ومضيعين لأولادهم ، وقاطعين لأرحامهم ، وظالمين لخدمهم وعمالهم .

<sup>1</sup> سورة الأحزاب الآية 21

ولاشك أن هذا الصنيع يدخل في الإيمان ببعض السنة والكفر ببعضها ، كما قال الله تعالى عن موقف بعض الناس من القرآن الكريم : { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }<sup>1</sup> .

فالذي يجب أن يقتدى به في العبادات وفي العادات هو الذي يجب التمسك بهديه في الأخلاق والسلوك وفي التعامل مع جميع الناس ، وذلك هو النبي الكريم محمد ﷺ ، فهو القائل : (( ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟ )) فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثا ، قال القوم : نعم يا رسول الله : (( قال أحسنكم خلقا ))<sup>2</sup> .  
وهذه الدراسة المتواضعة محاولة لتقريب هدي النبي ﷺ في التعامل مع أزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات المطهرات رضي الله عنهن ، وفي التعامل مع أولاده وأحفاده رضي الله عنهم ، وفي التعامل مع أقاربه من بعد منهم ومن قرب ، ومن كان منهم مسلما أو كافرا ، وكذلك في التعامل مع خدمه ومواليه الذين جعلهم الله تحت يديه الكريمتين .

<sup>1</sup> سورة البقرة الآية 85

<sup>2</sup> مسند أحمد 2 / 185 ، الناشر مؤسسة الرسالة ط 2 - 1420 هـ - 1999 م صحيح بن حبان ، تأليف محمد بن حبان بن أحمد 2 / 235 الناشر مؤسسة الرسالة . قال الهيثمي : (( إسناده جيد )) ، انظر جمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، 7 / 329 ط دار الفكر - بيروت

1412 هـ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم: 2650 الناشر : مكتبة المعارف - الرياض

الطبعة : الخامسة

وسنستعرض - إن شاء الله تعالى - من سيرة نبينا العطرة في التعامل مع كل هؤلاء ما يشهد على أنه ﷺ خير الناس لأهله بلا منازع ، ثم نستلهم منها ما تيسر من الدروس والعبر والأحكام والعظات لنقدمها في أطباق من ذهب لأحباب المصطفى ﷺ المقتفين لأثره والمهتدين بسنته ليكملوا بكماله البشري ما نقص من أخلاقهم ، ويقوموا به ما اعوج من سلوكهم ، وعسى أن يكون ذلك وسيلة لنا ولهم إلى شربة من حوضه لا يظماً بعدها المرء أبداً ، وانضواء تحت لوائه ، وشفاعة منه عند ربه ، وما ذلك على الله بعزيز .

وكتب أبو سعيد انجوغو امبكي صمب .

جربل 11 مارس 2013م

775121209

Masyer2@gmail.com

## مدخل

### خيرية النبي ﷺ لأهله

النبي الكريم محمد ﷺ في الميزان الاجتماعي هو خير الناس لأهله على الإطلاق ، كما قال في الحديث الشريف : (( خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ))<sup>1</sup> ، قال المباركفوري في التحفة : (( أي لعياله وذوي رحمه ، وقيل لأزواجه وأقاربه ))<sup>2</sup> ، والصحيح - والعلم عند الله - أن الأهل يشمل جميع من ذكر من الأزواج والأولاد والأقارب .

- فهو ﷺ خير زوج لنسائه .

سواء في حالة الانفراد كما كان مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أو في حالة التعدد كما كان مع من اجتمعن عنده من النساء بعد خديجة ، وكن إحدى عشرة رضي الله عنهن ، فقد كان ﷺ يؤدي جميع حقوقهن بالعدل ، لا يفرق بينهن في المعاملة، يعاشرهن بالمعروف ، ويخلص لهن في المحبة ، في حياتهن وبعد مماتهن ، قال ابن

<sup>1</sup> سنن الترمذي ( 709 / 5 ) وفيه ( وإذا مات صاحبكم فدعوه ) عن عائشة ، و قال أبو عيسى ( هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري ما أقل من رواه عن الثوري ، وروي عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسل ) انظر سنن الترمذي ( 5 / 709 ) سنن ابن ماجه ( 1 / 236 ) ، عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 3057

<sup>2</sup> تحفة الأحوذني ، تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحرير المباركفي ( 10 / 269 ) الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

كثير رحمه الله : (( وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نسائه ، حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك ، ويجتمع نسائه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع امرأة من نسائه في شعار واحد ، يضع عن كتفيه الرداء ، وينام بالإزار ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام يؤنسهم بذلك. ))<sup>1</sup>

### - خير أب لأولاده ﷺ .

ذكورا كانوا أو إناثا ، كلهم عنده في الحب والمعاملة والرعاية سواء ، لا يفرق بين أحد منهم لجنس أو سن ، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، تفضل الذكور على الإناث ، وتحتفل بالكبار والشجعان الأقوياء دون الصغار والضعفاء .

فقد كان النبي ﷺ يقول عن الحسن و الحسين رضي الله عنهما : (( هما ريحائتي من الدنيا ))<sup>2</sup> ، قال ابن حجر رحمه الله : (( والمراد بالريحان هنا الرزق ، قاله ابن التين ، وقال صاحب الفائق : أي هما من رزق الله الذي رزقنيه ، يقال : سبحان الله وريحانه : أي أسبح الله وأسترزقه ، ويجوز أن يراد بالريحان المشموم ، يقال : حباني بطاقة ريحان ، والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به ، لأن الأولاد يقبلون ويشمون ، فكأنهم من جملة الرياحين ))<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> تفسير القرآن العظيم ، تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير ( 1 / 467 ) ، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع - 1420 هـ

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 1 / 1371 ) الناشر دار الشعب - القاهرة 1407 هـ

<sup>3</sup> فتح الباري ( 11 / 427 )

وكان ﷺ يجمع بين ما يفرقه أكثر الآباء وأغلب الوالدين من تربية الأولاد وتنشئتهم على الخير والفضيلة ، وتلبية حاجات الطفولة من لعب وترفيه وتدليل .

فقد كان يربي وينشأ أولاده منذ نعومة أظفارهم على الخير والفضيلة ، فيغرس في قلوبهم الإيمان ويوجب إليهم الطاعة ، ويعودهم الأخلاق الحسنة ، كل ذلك عملاً بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } <sup>1</sup> .

وفي المقابل كان ﷺ يتفهم طفولة أولاده وصغاره الذين في حجره ، (( فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يخطب ، فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : (( صدق الله ورسوله : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } <sup>2</sup> رأيت ولدي هذين ، فلم أصبر حتى نزلت )) ثم أخذ في خطبته )) <sup>3</sup> .

يقول الأديب الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله ( بل كان محمد مثال الأب حيثما كان له نسل قريب أو بعيد ، وذكر وأنثى ، وصغير وكبير ) <sup>4</sup> .

- خير قريب لأقربائه .

<sup>1</sup> سورة التحريم الآية 6

<sup>2</sup> سورة التغابن الآية 15

<sup>3</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 1 / 424 ) صحیح ابن خزيمة ( 3 / 153 )

<sup>4</sup> عبقرية محمد ص 128 ، ط الکتبة العصرية للطباعة والنشر - بیروت .



من كمال خيرية النبي ﷺ لأهله أن يكون خير الناس لأقاربه من عصبته وذوي رحمه ، على اختلاف جهاتهم ومنازلهم ودرجاتهم .

فقد كان النبي ﷺ يساعد الفقير من أقاربه ويواسيه ، ويعطي المعدم منهم ويؤويه ، ويصل القريب منهم والبعيد ، ويوصي الأمة من بعده برعاية أهل بيته وذوي قرابته وإكرامهم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (( إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود إلى السماء ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ))<sup>1</sup> .

هذه وصية رسول الله ﷺ بأهل قرابته إلى جميع أمته من بعده ، فمن الناس من حفظ وصية رسول الله ﷺ فحفظه في قرابته باحترامهم وحبهم والإحسان إليهم ، وعلى رأس هؤلاء العاملين بوصية النبي ﷺ في قرابته خلفائه الراشدون ، وسائر صحابته الكرام رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان من بقية أجيال الأمة الإسلامية .

ومن الناس من قصر في حق القرابة النبوية الشريفة ، فلم ير لهم فضلا على غيرهم من الناس ، ولم يرع لهم حقا أو يؤد نحوهم واجبا ، وهؤلاء هم الجفأة .

وآخرون من أهل القبلة غلوا في آل بيت النبي ﷺ ، فرفعوهم فوق منازلهم ، واعتقدوا فيهم ما لم ينزل الله به من سلطان ، وافتعلوا الخصومات والعداوات الوهمية بينهم وبين

<sup>1</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد ( 2 / 192 )

أصحاب رسول الله ﷺ ، وبين كل من خالفهم من المسلمين في مذهبهم المنحرف ، وهم الغلاة .

### - خير سيد لخدمه .

كان تحت يد رسول الله ﷺ عدد من الموالى والخدم ، وكان لهم نعم السيد والمولى ، يطعمهم مما يطعم ، ويلبسهم مما يلبس ، ويتعامل معهم بأحسن الأخلاق ، (( عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إخوانكم جعلهم الله فتيه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه ، وإن كلفه ما يغلبه فليعنه ))<sup>1</sup> .

وكان ﷺ يحسن لخدمه ومواليه الكلام ، ويخفف عنهم المهام ، ويعفوا عنهم ويصفح إن هم أخطئوا أو قصرُوا في شيء من واجباتهم ، (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادما ولا امرأة قط ))<sup>2</sup> .

هكذا كان رسول الله ﷺ في جميع علاقاته الاجتماعية وتعاملاته الإنسانية في غاية الإحسان والبر ، وفي قمة المودة والرحمة ، ينزل الناس منازلهم ، ويؤدي لهم حقوقهم دون نقصان ، ولا يظلم أحدا منهم في صغير أو كبير ﷺ .

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 5 / 2248 ) صحيح مسلم ( 3 / 1283 )

<sup>2</sup> رواه مسلم 4/1814 رقم: 2327 وأحمد 37/40 سنن أبي داود ( 4 / 250 ) واللفظ له، وابن ماجه 1/638 والدارمي 1/157 وصححه الألباني في مشكاة

## المبحث الأول :

# هدية ﷺ في التعامل مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري : (( إن تصفح سيرة المصطفى ﷺ يعطي صورة مشرقة من خلقه الكريم - عليه الصلاة والسلام - في معاملة الناس جميعا ، ولكن سلوكه في بيته مع أزواجه له دلالاته الخاصة ، على رقة طباعه وعمق عاطفته ، وقدرته الفذة على مراعاة مشاعر أزواجه واحترام رغباتهن ، ما دامت لا تخرج عن حدود الشرع وأحكامه ))<sup>1</sup>

نعم إنه لكلام صحيح وقول مقبول ، لكنه ليس بالسهل أن ينثر المرء تفاصيل حياة النبي الزوجية فيتحدث عن زواجه وحبه ﷺ ، وعن وصاله وفصاله ﷺ ، أو يتناول الجوانب الاجتماعية من سيرته مع آباءه وأمهاته ﷺ ، ومع إخوانه وأخواته ، ومع أحبائه وأصدقائه ﷺ .

<sup>1</sup> السيرة النبوية الصحيحة ، له ، ( 2 / 643 )

هل نملك من الأدب والاحترام ما يأذن لنا بالدخول على النبي ﷺ وهو بين أهله ، وهل في قاموسنا اللغوي من التعبيرات اللائقة لننقل ما نشاهده من تصرفاته بمقتضى الزوجية أو الأبوة أو الأخوة أو القرابة .

إنه - والله - لولا إيماننا الجازم بأن الله جمع لنبيه الكريم من مظاهر الكمال البشري الذي لم يبلغه بشر من قبله ولا من بعده ، لما أقدمنا على كتابة هذه السطور ولا تأليف هذا الكتاب ، فهو ﷺ رسول أمين ، وزوج مخلص ، وأب رحيم ، وابن كريم ، لم يصدر منه طيلة حياته ما يناقض أمانة المرسلين ، أو إخلاص الأزواج ، أو رحمة الآباء ، أو كرم الأبناء ﷺ .

وسنحاول إن شاء الله تعالى أن نسلط الأضواء الساطعة على هذا الجانب المهم من سيرته العطرة ، لنقتبس من أنوار هديه ﷺ في التعامل مع أمهات المؤمنين وزوجاته الطاهرات رضي الله عنهن ، ونشعل من أخلاقياته الرفيعة سرجا تنور بيوتنا وتسعد حياتنا الزوجية بإذن الله تعالى .  
وذلك في المطالب التالية :

### المطلب الأول :

#### زواج النبي الكريم ﷺ دليل كماله البشري

إن مما أجمع عليه العقلاء وتواطأ عليه الفضلاء أن الزواج بالنسبة للبالغين من الرجال كمال وليس نقصا ، وما ينتج عن الزواج من أولاد وذرية مما طبع كل إنسان على محبته والفرح به ، قال تعالى : {رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ { 1 .

ولذلك نرى ذكور كل قبيلة ورجال كل شعب من البشر يتزوجون إذا بلغوا مبلغ الرجال ، ويعد من لم يتزوج منهم أو لم يقدر على الزواج ناقصين غير كاملين . وكذلك الأديان السماوية شرعت للناس الزواج عند توفر الشروط المادية والمعنوية ، وعلى رأس من شرع في حقهم الزواج الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى :

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ { 2 .

ولم يؤثر سلوك التبتل وترك النكاح عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إلا ما يذكر عن نبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام الموصوف في القرآن ب ( الحصور ) ، قال تعالى : {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ { 3 ، وقد اختلف المفسرون في معنى (الحصور) ، قال ابن كثير رحمه الله : ( روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي الشعثاء ، وعطية العوفي ، أنهم قالوا : الذي لا يأتي النساء ، وعن

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 14

<sup>2</sup> سورة الرعد الآية 38

<sup>3</sup> سورة آل عمران الآية 39

أبي العالية ، والربيع بن أنس : هو الذي لا يولد له ، ولا ماء له )<sup>1</sup> ، وقيل : الحصور هو : من لا ذكر له ) ،<sup>2</sup> وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : ( والتحقق في معنى { حصورا } أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن تبتلا منه وانقطاعا لعبادة الله ، وكان ذلك جائزا في شرعه ، وأما سنة النبي ﷺ فهي التزويج وعدم التبتل ، أما قول من قال إن الحصور فعول بمعنى مفعول ، وأنه محصور عن النساء لأنه عين لا يقدر على إتيانهن ، فليس بصحيح ، لأن العنة عيب ونقص في الرجال ، وليست من فعله حتى يثنى عليه بها ، فالصواب إن شاء الله هو ما ذكرنا واختاره غير واحد من العلماء ))<sup>3</sup> .

ولذلك كان زواج النبي ﷺ دليلا عمليا على كمال بشريته ، حيث تزوج وتسرى ، وأنجب له ، فجعل الله له أزواجا وذرية ، سنته فيمن سبق من إخوانه الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - قال ابن كثير رحمه الله : ( وهي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه ، درجة عليا ، وهي درجة نبينا ﷺ ، لم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة ، بتحسينهن وقيامه عليهن ، وإكسابه لهن ، وهدايته إياهن ... )<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> تفسير القرآن العظيم ( 1 / 362 )

<sup>2</sup> تفسير القرآن العظيم ( 1 / 362 )

<sup>3</sup> أضواء البيان ( 3 / 384 )

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم ( 1 / 362 ، 363 )

وكان اليهود بجهلهم وقصدهم الإساءة إلى رسول الله ﷺ يعيرون الرسول ﷺ بكثرة الزواج، ويقولون : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء ، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }<sup>1</sup> .

وكان النبي ﷺ ينهى صحابته الكرام رضي الله عنهم عن التبتل وترك الزواج لمن قدر عليه، ويعتبر ذلك السلوك مخالفة لسنته المطهرة ، ورغبة عما جاء به من الهدى ، (( فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من رسول الله ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأحشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، و أصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ))<sup>2</sup> .

## المطلب الثاني :

### هدي النبي ﷺ في التعامل مع ازواجه رضي الله عنهم .

إن الكثرة العددية والتنوع الاجتماعي لأزواج النبي ﷺ يطرح سؤالاً مهماً ألا وهو : كيف يستطيع النبي ﷺ أن يتعامل مع هذه التركيبة الاجتماعية المختلفة مؤدياً حقوقهن

<sup>1</sup> سورة الرعد الآية 38

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 3 / 411 ) صحيح مسلم 1020/2 رقم: 1400 وأحمد 241/3 والنسائي 70/2 والبيهقي 77/7

بلا ظلم ولا هضم ؟ وكيف يستطيع أن يجمع بين معاشرتهن بالمعروف وبين أعباء الرسالة وهمومها؟

لاشك أن السر في ذلك هو ما كنت سمعته على لسان أحد الدعاة المعاصرين ، وكان غريبا عندي لما سمعته لأول مرة ، إنه ( الإعجاز الخلفي عند النبي ﷺ ) بحيث لم يشاهد بشرا قبل رسول الله ﷺ اجتمع عنده من مواصفات الكمال البشري ومن فضائل الأخلاق ما اجتمع عنده ﷺ .

إن النبي ﷺ في بيته رجل مثل جميع الرجال في كل ما جل وشرف من معاني الرجولة والفحولة ، (( عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألتها كيف كان رسول الله إذا خلا مع نسائه ؟ قالت : كان كرجل من رجالكم ، كان أحسن الناس خلقا ، وأكرمهم خلقا ، ضحاكا بساما ))<sup>1</sup> .

وفيما يلي نحاول إن شاء الله تعالى عرض ما تيسر من هدي النبي ﷺ في التعامل مع أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، ونسرد من مظاهر كماله ﷺ في هذا الباب ما يشهد على خيريته لأهله على جميع العالمين :

**المظهر الأول : هداية النبي ﷺ إلى الخير وتعليمهن أحكام الشرع .**  
أكبر معروف يسديه المرء إلى أهله هدايتهم وإرشادهم إلى الخير ، ولذلك أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة من بعده أن يبدءوا في دعوتهم بعشيرتهم الأقربين ، قال

<sup>1</sup> تاريخ دمشق ( 3 / 383 )



تعالى { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }<sup>1</sup> أي : ( الذين هم أقرب الناس إليك ، وأحقرهم بإحسانك الديني والدنيوي )<sup>2</sup> .

وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا نَفْسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }<sup>3</sup> ، ( قال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها )<sup>4</sup> .

ولما بعث الله النبي ﷺ إلى الخلق ليدعوهم إلى الإسلام ، كان أول من دعاهم النبي ﷺ هو زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فأمنت به وصدقته ، ( فكانت أول من استمع إلى الوحي الإلهي من فم الرسول الكريم ﷺ ، وكانت أول من تلا القرآن الكريم بعد أن سمعته من صوت الرسول العظيم ﷺ ، وكانت كذلك أول من تعلم الصلاة من رسول الله ﷺ ، فبيتها أول مكان تلي فيه أول وحي نزل به جبريل على قلب المصطفى الكريم بعد غار حراء )<sup>5</sup> .

وهكذا كان رسول الله ﷺ حريصا على هداية أزواجه إلى الخير وعلى تعليمهن أمور دينهن ، وأمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر ، (( عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ فإذا جبل ممدود بين الساريتين ، فقال : (( ما هذا الجبل ؟ )) قالوا : هذا جبل

<sup>1</sup> سورة الشعراء الآية 214

<sup>2</sup> تيسير الكريم الرحمن ص 599

<sup>3</sup> سورة التحريم الآية 6

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم ( 4 / 392 )

<sup>5</sup> السيرة النبوية لعلي الصلاحي ( 1 / 96 )

لزئب فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : (( حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد ))<sup>1</sup> ، قال النووي رحمه : ( فيه الحث على الاقتصاد في العبادة ، والنهي عن التعمق ، والأمر بالإقبال عليها بنشاط ، وأنه إذا فتر فليقعد حتى يذهب الفتور ، وفيه إزالة المنكر باليد لمن تمكن منه ، وفيه جواز التنفل في المسجد ، فإنها كانت تصلي النافلة فيه ، فلم ينكر عليها )<sup>2</sup> .

وعلم ﷺ عائشة دعاء زيارة القبور ، وأمرها إذا هي أتت القبور أن تقول : (( السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا و المستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ))<sup>3</sup> .

وأرشد أم سلمة إلى الاحتجاب عن المكاتب ، فقال ﷺ : (( إن كان لإحداكن مكاتب فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه ))<sup>4</sup> .

ونهاها عن إدخال المخنثين عليهن ، (( عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وعندي مخنث ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف ، إذا فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، وقال النبي ﷺ : (( لا يدخلن هؤلاء عليكن ))<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 1 / 386 ، صحيح مسلم ( 1 / 541 )

<sup>2</sup> شرح صحيح مسلم ( 6 / 73 )

<sup>3</sup> أخرجه مسلم ( 2 / 669 ، رقم 974 ، والنسائي ( 4 / 91 ، رقم 2037

<sup>4</sup> سنن أبي داود ( 4 / 21 ) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود 3930. دار الكتاب العربي ، و النسائي في الكبرى ( 5 / 389 )

<sup>5</sup> صحيح البخاري ( 4 / 1572 ) ( صحيح مسلم ( 4 / 1715 )

ونهي حفصة رضي الله عنها عن تعيير صفية وسبها ، (( عن أنس رضي الله عنه قال : بلغ صفية أن حفصة قالت : بنت يهودي ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : (( ما يبكيك ؟ )) فقالت : قالت لي حفصة : إني بنت يهودي ، فقال النبي ﷺ : (( إنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك ؟ )) ثم قال : (( اتقي الله يا حفصة ))<sup>1</sup> .

### المظهر الثاني : محبة النبي ﷺ الصادقة لأزواجه رضي الله عنهم .

إن حب الشهوات من النساء وغيرها من متاع الدنيا وملذاتها مما جبل عليه عامة الناس ، وليس منقصة كما يتصور بعض المنتسبين إلى العبادة والزهد ، قال تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ }<sup>2</sup> ، قال ابن عاشور رحمه تعالى : ( وبيان الشهوات بالنساء والبنين وما بعدها بيان بأصول الشهوات البشرية التي تجمع مشتبهات كثيرة ، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار ، فالميل إلى النساء مركز في الطبع ، وضعه الله تعالى لحكمة بقاء النوع بداعي طلب التناسل ،

<sup>1</sup> رواه أحمد 136/3 سنن الترمذي ( 5 / 709 )، سنن النسائي الكبرى ( 5 / 291 )، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، مصنف عبد الرزاق 430/11، وصححه

الألباني في صحيح سنن الترمذي :3055

<sup>2</sup> سورة آل عمران الآية 14

إذ المرأة هي موضع التناسل ، فجعل ميل الرجل إليها في الطبع حتى لا يحتاج بقاء النوع إلى تكلف ربما تعقبه سامة ))<sup>1</sup> .

والنبي الكريم ﷺ بحكم بشريته ليس بدعا في حب ما لذ وطاب من الطيبات من رزق الله تعالى ، ومن ذلك النساء ، قال ﷺ : (( إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة ))<sup>2</sup> ، وما أعظم هذا التوازن والاعتدال في سلوك النبي ﷺ ووجدانه حيث جمع بين المحبة الفطرية الغريزية للطيبات ، والتعلق القلبي والسكون الروحي بالقرب من الله ومناجاته ، قال القرطبي رحمه الله : ( وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل بالنساء جبلة الآدمية وتشوف الخلقة الإنسانية ، ويحافظ على الطيب ، ولا تقر له عين إلا في الصلاة لدى مناجاة المولى ، ويرى أن مناجاته أحرى من ذلك وأولى ، ولم يكن في دين محمد ﷺ الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية كما كان في دين عيسى )<sup>3</sup> .

وقال الدكتور محمد رواس قلعة جي : ( نعم ، ليس عيبا أن يحب الرجل النساء ، ولكن العيب أن تشغل المرأة الرجل عن أداء واجباته تجاه ربه ، أو تجاه أمته ، أو تجاه فرد وجب له حق عليه ، ولكن العيب أن يصير الرجل عبدا للمرأة ، يرى حقها فوق كل حق ، وطاعتها فوق كل طاعة ، ورغم حب النبي ﷺ للمرأة ، فإن هذا الحب لم يقصر به في

<sup>1</sup> التحرير والتنوير ( 39 / 3 )

<sup>2</sup> السنن الكبرى البيهقي ( 7 / 78 ) ، دائرة المعارف في الهند ، ط1/1433هـ ، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، المحقق : مكتب تحقيق التراث

الناشر : دار المعرفة بيروت ، الطبعة : الخامسة 1420هـ وأحمد بلفظ قريب 285/3 وحسته الألباني في المشكاة: 5261

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن ( 10 / 56 )

أداء واجباته نحو ربه ، فقد كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، ولا نحو أمته ، فقد أعطاها من فكره ووقته ما رقى به فوق الأمم ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس )<sup>1</sup> .  
ومن هذا الباب كان حب النبي ﷺ لنسائه ومودته لهن ، فقد كان ﷺ يحب أزواجه على اختلاف بينهن في مواقعهن من قلبه الكبير ، (( سأل عمرو بن العاص رضي الله عنه النبي ﷺ : يا رسول الله من أحب الناس إليك ؟ قال : (( عائشة )) قال : إنما أقول من الرجال ؟ قال : (( أبوها )) .<sup>2</sup>

وكان ﷺ يعبر عن هذا الحب الطاهر بطرائق وأساليب تنم عن الصدق في العواطف والرقة في المشاعر ، لا تكلف فيها ولا ضياع ، كحال من تاه من المترفين في قفار العشق والحب .

ومن أشهر ما أثر عن النبي ﷺ من دلائل المحبة لأزواجه رضي الله عنهن أجمعين ما يلي :

## 1- كثرة الطواف والدخول عليهن .

(( عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، وله يومئذ تسع نسوة ))<sup>3</sup> ، قال ابن حجر رحمه الله : ( وذكر عياض في الشفا : أن الحكمة في طوافه عليهن في الليلة الواحدة كان لتحسينهن ، وكأنه أراد به عدم تشوفهن

<sup>1</sup> دراسة تحليلية لشخصية النبي محمد من خلال سيرته الشريفة ص 172

<sup>2</sup> رواه البخاري 115/4، مسلم 198/1، سنن الترمذي 706/5 دار إحياء التراث العربي-بيروت، ت: أحمد محمد شاكر، المستدرك على الصحيحين ( 4 / 13 ) ،

صحيح بن حبان ( 10 / 404 ) صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: 4155

<sup>3</sup> صحيح البخاري ( 1 / 109 )

للأزواج ، إذ الإحصان له معان منها الإسلام والحرية والعفة ، والذي يظهر : أن ذلك إنما كان لإرادة العدل بينهن في ذلك ، ولم يكن واجبا ... ، وفي التعليل الذي ذكره نظر لأنهن حرم عليهن التزويج بعده ، وعاش بعضهن بعده خمسين سنة فما دونها ، وزادت آخرهن موتا على ذلك )<sup>1</sup> .

ومهما تكن الحكمة من كثرة طواف النبي الكريم ﷺ على أهله ، فإن هذا الصنيع يدل على محبتهم وتعلق قلبه بهم ، فإنه لو كرههن ، أو كره بعضهن لم يفعل ذلك ، بل يعتزلهن ولا يأتيهن إلا لماما ، ولربما اختار البقاء خارج بيته مع أصدقائه ورفقائه على الأئس بهم والسكون إليهن ، وتعبير أنس ب : (( كان يطوف على نسائه )) يشعر بأن ذلك قد تكرر منه ﷺ غير مرة ، والله أعلم .

وكان يأتي أهله إذا رغب ليلا أو نهارا ، (( فعن جابر : أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها ففضى حاجته ، ثم خرج إلى أصحابه فقال : (( إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدكم امرأة ، فليأت أهله ، فإن ذلك يرد ما في نفسه ))<sup>2</sup> ، قال النووي رحمه الله : ( قال العلماء : إنما فعل هذا بيانا لهم وإرشادا لما ينبغي لهم أن يفعلوه ، فعلمهم بفعله وقوله ، وفيه أنه لا بأس بطلب الرجل امرأته إلى الوقاع في النهار وإن كانت مشغلة بما يمكن تركه ، لأنه ربما غلبت على الرجل شهوة يتضرر بالتأخير في بدنه أو في قلبه وبصره ، والله أعلم )<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> فتح الباري ( 9 / 316 )

<sup>2</sup> صحيح مسلم ( 2 / 1021 )

<sup>3</sup> شرح صحيح مسلم ( 9 / 179 )

## 2- التقبيل والمباشرة :

من أصدق أمارات الحب وأعمق أساليب التودد القبلة والمباشرة ، وذلك لما فيهما من تلامس الأعضاء الحساسة وتقارب الأنفاس بينهما ، ولا يتعاطاهما بصدق إلا المتحابون . وكان رسول الله ﷺ يقبل زوجاته ويباشرهن رضي الله عنهن ، وكن يسعدن ويفرحن بذلك أشد الفرح ، مما جعلهن يقصن مناسباتها تعليما للناس وابتهاجا بفعل رسول الله ﷺ ، وخاصة من كن منهن صاحبة المناسبة .

(( عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل إحدى نسائه وهو صائم ، ثم تضحك ))<sup>1</sup> ، قال السيوطي رحمه الله : ( قال القاضي : قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا ، وقيل : التعجب من نفسها حيث تحدثت بمثل هذا الحديث الذي يستحي من ذكره ، لا سيما حديث المرأة به عن نفسها للرجال لكنها اضطرت إلى ذكره لتبليغ الحديث والعلم ، فتعجب من ضرورة الحال المضطرة لها إلى ذلك ، وقيل : ضحكت سرورا لتذكر مكانها من النبي ﷺ وحالها معه وملاطفته لها ، ويحتمل أنها ضحكت تنبيها على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ في الثقة بحديثها )<sup>2</sup> .

## 3- المحادثة والملاطفة :

رغم تراحم الواجبات والمسئوليات على النبي ﷺ ، فإنه كان يخصص لأهله وقتا كافيا يأنس فيه إليهن ، ويأنسن هن إليه ، ولا يفعل كما يفعل كثير من رجال زماننا ، ومنهم

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 2 / 776 )

<sup>2</sup> الديباج في شرح صحيح مسلم ( 3 / 206 )

بعض أهل الخير من العلماء والدعاة ، من تطبيق جميع ما في جمعهم من معاني الألفة والبشاشة ، والتحلي بالروح الاجتماعية في التعامل مع الناس في المسجد أو في الجامعة أو في المكتب ، وإذا انقلب إلى أهله عبس منه الوجه ، وخرص اللسان ، وبرد الإحساس ، قال ابن القيم رحمه الله ( كان إذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن ، واستقرأ أحوالهن ، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالنوبة )<sup>1</sup> .

( وحفظ من سيرته مع أصغر نسائه عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها فيه ، وإذا شربت من الإناء أخذ فوضع فمه في موضع فمها و شرب ، وإذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه لحم - أخذ فوضع فمه موضع فمها ، وكان يتكئ على حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها ، وربما كانت حائضاً ، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة )<sup>2</sup> .

#### 4- الممازحة والمداعبة .

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى : ( اعلم أنه ﷺ كان مع أهله وأصحابه وغيرهم ، ومع القريب والغريب على غاية من سعة الصدر ، ودوام البشر ، وحسن الخلق ، وإفشاء السلام ، و البدار به من لقيه ، والوقوف مع من يستوقفه ، والمشي مع من أخذ بيده ، حتى من الولدان والإماء ، والمزاح بالحق مع الصغير والكبير أحياناً ، وإجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه ) .

<sup>1</sup> زاد المعاد ( 1 / 145 )

<sup>2</sup> زاد المعاد ( 5 / 145 )



و) كان أدبه ﷺ في مزامحته لأهله وأصحابه أنه لا يقول إلا الحق ، (( عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ! قال (( إني لا أقول إلا حقا )<sup>1</sup> .

ومن مزامحته لأهله ﷺ ما روت عائشة رضي الله عنها ، قالت : (( رجع إلي رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع ، وأنا أجد صداعا في رأسي ، وأنا أقول وأرأساه ، فقال : (( بل أنا يا عائشة وأرأساه )) ثم قال : (( ما ضرك لو مت قبلي ، فغسلتك و صليت عليك ، ثم دفنتك !! )) قلت : لكأني بك والله لو فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي وأعرست فيه ببعض نساءك ، فتبسم رسول الله ﷺ (...))<sup>2</sup> .

## 5- الحزن على مفارقتهم :

من أصعب الأمور على المحبين فراق من أحبهم وأحبوه ، سواء كان بسبب السفر أو السجن ونحوهما ، فضلا عن الموت الذي لا لقاء بعده في الدنيا أبدا .  
و لا يخفى على أحد ممن له إمام بسيرة النبي ﷺ ما كان لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من حماية و حياة للنبي ﷺ ، حيث كانت رضي الله عنها يواسي رسول الله ﷺ بما لها وجاهها ، فلم تجرأ قريش على فعل الكثير ضد النبي ﷺ بسبب هذه السيدة وكذلك عمه أبي طالب ، ولما توفيا في سنة واحدة تضاعفت الآلام والمصائب على رسول الله ﷺ ، وحزن لفراق زوجه وعمه حزنا شديدا وعرف هذا العام بعام الحزن .

<sup>1</sup> رواه أحمد 339/14 ، سنن الترمذي ( 4 / 357 ) و البيهقي في الكبرة مع ذيل الجواهر النقي 248/10 ، وفي الشعب 316/4 دار الكتب العلمية

ط 1410/1هـ ، والطبراني في الأوسط 305/10 دار الحرمين - القاهرة 1415هـ. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 1726

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد ( 6 / 228 ) سنن النسائي الكبرى ( 4 / 252 ) ، سنن ابن ماجه 470/1 صححه الألباني في الإرواء 160/3

ولم يفارق الحزن على خديجة قلب رسول الله ﷺ ، وكان كلما ذكرها أو رأى شيئا من آثارها شوهد على وجهه ﷺ معالم الحزن والأسى لما يتذكر من خديجة ومن إيمانها وحبها وأيادها عليه .

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى : ( إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمد عليه الصلاة والسلام فقد آزرته في أخرج الأوقات ، وأعانته على إبلاغ رسالته ، وشاركته مغارم الجهاد المر ، وواسته بنفسها ومالها ، وإنك لتحس قدر هذه النعم عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خن الرسالة ، وكفرن برجلهن ، وكن مع المشركين من قومهن وآهن حربا على الله ورسوله { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } <sup>1</sup> .

أما خديجة فهي صديقة النساء ، حنت على رجلها ساعة قلق ، وكانت نسمة سلام وبر ، رطبت جبينها المتصبب من آثار الوحي ، وبقيت ربع قرن معه ، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله ، وتحملت بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة ، وماتت والرسول ﷺ في الخمسين من عمره ، وهي تجاوزت الخامسة والستين ، وقد أخلص لذكرها طول حياته <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> سورة التحريم الآية 10

<sup>2</sup> فقه السيرة للغزالي ص 122 فما بعدها

### المظهر الثالث : مشاركة النبي ﷺ أزواجه هموم الحياة ومشكلاتها .

جعل الله النساء سكناً لأزواجهن مما يلقونه من هموم الحياة اليومية ومشاكلها ، يأوون إلى كنفهن بعد طول كدح في النهار وكثير تعب وعناء ، قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }<sup>1</sup> .

ولما فوجئ رسول الله ﷺ بالوحي وفزع من هول ما يرى ويسمع ، هرع إلى منزله حيث يجد زوجه وحبيبته خديجة ، ليخبرها بما حصل له ، ويث إليها من همومه ، (( ولما أتاها قال ﷺ : (( لقد خشيت على نفسي ! )) فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة ، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جزع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : (( أو مخرجي

<sup>1</sup> سورة الروم الآية 21

هم ؟ )) قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي ))<sup>1</sup> .

وفي الحديث دليل على أهمية حديث الرجل مع أهله فيما يهمه ويقلقه ، ولا يقول هذا أعظم من أن أفتح فيه امرأة لا تتجاوز عنايتها حدود منزلها ، فقد يكون للمرأة الصالحة دور كبير في حل مشكلات زوجها مهما عظمت وتعقدت ، فهذا رسول الله ﷺ يواجه في حياته مشكلة غريبة عليه وعلى قومه ، فيخبر بها شريكة حياته خديجة فتلقنه درسا عظيما في السنن الربانية والنواميس الكونية ، وهو حماية الله تعالى للمحسنين وعدم خذلانهم ، ولم تكتف بذلك بل ذهبت معه إلى رجل له ثقافة دينية لتسمعه الخبر ، وتسمع منه ما ذا يقول ، فوجدا عنده التفسير الصحيح والتحليل الدقيق لهذا الحدث الجلل .

#### المظهر الرابع : إعانة النبي ﷺ أزواجه على طاعة الله تعالى .

من حسن عشرة النبي ﷺ لنسائه إعانتهم على القيام بطاعة الله تعالى ، وأدائهم للفرائض ، والإذن لهم بفعل السنن والمستحبات .

ومن الأمثلة على ذلك : إذنه ﷺ لحفصة بأن تبيت بمنى كي ترمي قبل زحمة الناس تخفيفا عليها لثقل جسمها رضي الله عنها (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : وددت إني كنت استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة ، فأصلي الصبح بمنى ، فأرمي الجمرة

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 4/1 ) صحيح مسلم ( 1 / 141 )

قبل أن يأتي الناس ، فقييل لعائشة : فكانت سودة استأذنته ؟ قالت : نعم ، إنها كانت امرأة ثقيلة ثبطة ، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لها ))<sup>1</sup> .

أما إذا تعارض القيام بتلك الطاعة مع القيام بأخرى أكد منها ، أو تفوت بسببها مصلحة أكبر لم يأذن لها ، (( عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فاستأذنته عائشة ، فأذن لها ، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت ، فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء فبني لها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلى بنائه ، فبصر بالأبنية ، فقال : (( ما هذا ؟ )) قالوا : بناء عائشة وحفصة وزينب ! فقال رسول الله ﷺ : (( ألبر أردن بهذا ؟ ما أنا بمعتكف )) فرجع فلما أفطر اعتكف عشرا من شوال ))<sup>2</sup> .

وفي الحديث نهي لأزواجه من الاعتكاف معه في المسجد خوفا من أن يتخذنه ميدانا للمنافسة بينهن ، وكفي لا يشغلنه عن الانقطاع للعبادة .

### المظهر الخامس : كونه صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله :

بعض الرجال يفهم من وجوب خدمة المرأة زوجها أن تقوم المرأة بمزاولة كل الأعمال المنزلية صغيرها وكبيرها ، وبدون مساعدة أو تخفيف من الزوج ، وهذا بلا شك خطأ وإرهاق للمرأة ، إذ لا شك أن هناك من الأعمال المنزلية ما يستطيع أن يتولاه الرجل ولا ينتظر لتنفيذها أحدا ، ومن حسن العشرة والرحمة بالنساء ، ومن التواضع وخفض الجناح

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 2 / 603 ) ، صحيح مسلم ( 2 / 939 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 2 / 719 )

للأهل أن يتولاه الرجل بنفسه ، وهذه الأمور تختلف من بيئة لأخرى ، ولذلك لا داعية لذكر الأمثلة عليها ، قال القرطبي رحمه الله : ( ويخدم الرجل زوجته فيما خف من الخدمة ويعينها )<sup>1</sup> .

وكان رسول الله ﷺ - وهو أشرف الخلق أجمعين - يكون في مهنة أهله ويساعدهم على أداء الواجبات المنزلية ، (( قال الأسود : قلت لعائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلي ))<sup>2</sup> ، وبيان ذلك وشرحه في قولها لما سئلت رضي الله عنها : ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ، فقالت : كان بشرًا من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ))<sup>3</sup> .

### المظهر السادس : عدل النبي بين أزواجه ﷺ .

العدل بين النساء في التعامل واجب شرعي ، وشرط في جواز تعددهن ، قال تعالى :  
 { وَإِنْ حِفْتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَىٰ مَا تَعُولُوا }<sup>4</sup> ، قال العلامة الشنقيطي رحمه الله : ( فإن خاف الرجل أن لا يعدل بينهن وجب عليه الاقتصار

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن ( 10 / 145 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 1 / 239 )

<sup>3</sup> أضواء البيان ( 1 / 262 )

<sup>4</sup> سورة النساء الآية 3

على واحدة ، أو ملك يمينه ، لأن الله يقول : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }<sup>1</sup> ( ... )<sup>2</sup> .  
والعدل بين الأزواج كذلك ضرورة اجتماعية يسبب التفريط فيها إلى زعزعة استقرار البيوت ، وفساد قلوب الأزواج ، وزرع التبغض والتحاسد بين الأولاد ، وقد يؤدي إلى تنافر الأصهار وسائر الأقارب كما هو مشاهد في بيوت من يظلم أزواجه ويفضل بعضهن على بعض في التعامل .

ومن صور العدل بين النساء في التعامل من سيرة النبي ﷺ ما يلي :

### 1- العدل بينهن في المبيت والنفقة .

العدل بين النساء في المبيت والنفقة ونحوهما هو العدل الممكن والمطلوب شرعا ، لأنه مما يملكه ابن آدم ويستطيعه ، أما المحبة والجماع ، وكذلك سائر الأمور اليسيرة التي ليست محلا للتنافس بين النساء ، ولا يظهر فيها التفاوت ، فلا يأمر فيها بالعدل والتسوية بينهن ، والتكليف بما تكليف بما لا يطاق .

وكان رسول الله ﷺ مضرب المثل في العدل بين نسائه ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى ( وكان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة ، وأما المحبة فكان يقول : (( اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك )<sup>3</sup> ، وهذا من تمام عدله وإنصافه ﷺ ،

<sup>1</sup> سورة النحل الآية 90

<sup>2</sup> أضواء البيان ( 1 / 132 )

<sup>3</sup> زاد المعاد ( 1 / 145 )

وحرصه على أداء حقوق العباد كما أمره الله تعالى ، ومنها حقوق أزواجه رضي الله عنهن .

### – حكم القسم بين النساء في حق رسول الله ﷺ :

اختلف العلماء في حكم القسم بين النساء في حق رسول الله ﷺ إلى قولين :

#### القول الأول : كونه واجبا على رسول الله ﷺ .

و استدل أصحاب هذا القول بعموم الأدلة القاضية على وجوب القسم بين النساء، كقوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا } <sup>1</sup> ، ويقول عائشة رضي الله عنها : (( كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم )) <sup>2</sup> ، كما استدلوا باستئذان رسول الله ﷺ أهله في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، قالوا : لو كان القسم واجبا عليه لما احتاج إلى استئذانهم في ذلك . <sup>3</sup>

#### القول الثاني : كون النبي ﷺ مخيرا في القسم بين أزواجه .

إن شاء قسم بين النساء وإن شاء لم يقسم ، واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى : { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَايَتِ مَنِّ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي

<sup>1</sup> سورة النساء الآية 3

<sup>2</sup> رواه أبوداود،333/1،الحاكم في المستدرک ( 2 / 203 ) وصححه الألباني في الإرواء،85/7

<sup>3</sup> انظر : صرح صحيح مسلم للنووي ( 4 / 139 )



قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا }<sup>1</sup> ، قال أبو بكر الجصاص رحمه الله : ( وهذه الآية تدل على

أن القسم بينهن لم يكن واجبا على النبي ﷺ ، وأنه كان مخيرا في القسم لمن شاء منهن ، وترك من شاء منهن ... )<sup>2</sup> ، وحمل أصحاب هذا القول حديث (( اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك )) على مكارم الأخلاق وجميل العشرة منه ﷺ<sup>3</sup> .  
وعلى كل حال فهدي النبي ﷺ كان هو القسم ، كما ذكر ابن القيم رحمه الله ، ولم يكن يعمل بخلافه إلا في ثلاث حالات :

### الحالة الأولى : إذا تزوج حديثا .

حيث كان ﷺ يقيم عند البكر سبعا ، وعند الثيب ثلاثا ، ثم يعود إلى التسوية في القسم، (( فعن أنس رضي الله عنه قال : (( السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا ، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا )) )<sup>4</sup> .

والحكمة في التسبيع للبكر والتثليث للثيب مراعاة حال الزوج الجديدة وتطيب خاطرها، قال النووي رحمه الله : ( فإنه جعل هذه الأيام تأنيسا لها متصلا ، لتستقر عشرتها له ، وتذهب حشمتها ، ويقضي كل واحد منهما لذته من الآخر ، و لا ينقطع بالدوران على غيرها )<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> سورة الأحزاب الآية 51

<sup>2</sup> أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ( 241 / 5 )

<sup>3</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 139 / 4 )

<sup>4</sup> صحيح البخاري ( 2000 / 5 ) واللفظ له ، صحيح مسلم ( 1084 / 2 )

<sup>5</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 45 / 10 )

قلت : وفاوت بين البكر والثيب في عدد الأيام ، فجعل الإقامة عند البكر سبعا ، وعند الثيب ثلاثا ، لكون البكر أحوج إلى التأنيس وتطيبب خاطر وإذهاب الحشمة عنها ، لحدائة عهدها بالنكاح وبعدها عن أهلها ، عكس الثيب التي لها معرفة سابقة بالرجال وتجربة في العشرة الزوجية ، والله أعلم .

### الحالة الثانية : إذا سافر لغزوة ونحوها .

كان النبي ﷺ إذا سافر لغزوة و نحوها أقرع بين نساءه ، فمن خرج سهمها سافر بها ، قال ابن القيم رحمه الله : ( وكان إذا أراد سفرا أقرع بين نساءه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، ولم يقض للبواقي شيئا ، وإلى هذا ذهب الجمهور )<sup>1</sup> .

(( وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نساءه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ))<sup>2</sup> ، قال النووي رحمه الله : ( وفيه القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن ، و يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة ، هذا مذهبنا ، وبه قال أبو حنيفة وآخرون ، وهو رواية عن مالك ، وعنه رواية أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة ، لأنها قد تكون أنفع له في طريقه ، والأخرى أنفع له في بيته وماله )<sup>3</sup> .

وقد طارت القرعة في غزوة المريسيع بعائشة رضي الله عنها ، وفي سفر من أسفاره طارت القرعة بعائشة وحفصة رضي الله عنهما ، وكانت أم سلمة معها في عمرة الحديبية فنفعته في مشورتها .

<sup>1</sup> زاد المعاد ( 1 / 145 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 2 / 916 ) ، صحيح مسلم ( 4 / 2130 )

<sup>3</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 17 / 103 )

## الحالة الثالثة : في يوم أم المؤمنين سودة رضي الله عنها .

حيث تنازلت سودة عن حقها في القسم لضرتها عائشة رضي الله عنهما لما كبرت وشعرت بعدم استكثار النبي ﷺ منها ، (( فعن عائشة رضي الله عنها قالت : وكان ﷺ يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبتغي بذلك رضى رسول الله ﷺ ))<sup>1</sup> .

وقد فعلت سودة ذلك لما تقدم بها العمر وخافت من رسول الله ﷺ أن يطلقها كما ذكرت عائشة رضي الله عنها : (( كانت سودة قد أسنت ، وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها ، وقد علمت مكان عائشة منه ، فخافت أن يفارقها ، وضنت بمكانها عند رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله يومي الذي يصيبني منك لعائشة ، وأنت منه في حل ، فقبله النبي ﷺ ، وفي ذلك نزلت { وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ... }<sup>2</sup> ))<sup>3</sup> .

## 2-العدل بين النساء في الحكم بينهن .

المظهر الآخر للعدل بين النساء هو العدل بينهن في الحكم فيما شجر بينهن ، وهو مطلوب شرعا ، لدخوله في عموم قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

<sup>1</sup> رواه أبو داود/355/6 صحيح أبي داود، السنن الكبرى البيهقي ( 5 / 292 )

<sup>2</sup> سورة النساء الآية 128

<sup>3</sup> الطبقات الكبرى ( 8 / 169 )

أَهْلَهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }<sup>1</sup> .

وكان النبي ﷺ يساوي بين نساءه في المعاملة ويعدل بينهن في القضية ، ولو كان في أمر يسير مما يحدث بين الضرائر ، (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها ، إحدى رجله في حجري ، والأخرى في حجرها ، فعملت له حريرة ، أو قال حريرة ، قلت : كلي ، فأبت ، فقلت : لتأكلين أو لألطنن وجهك ، فأبت ، فأخذت من القصة شيئا فلطخت به وجهها ، فضحك رسول الله ﷺ ، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها لتستقيد مني ، وقال لها : ((لطخي وجهها)) فأخذت من الصفحة شيئا ، فلطخت به وجهي ، ورسول الله ﷺ يضحك.))<sup>2</sup> .

وهذه القصة الطريفة وإن كانت تعكس صورة من الدعابة والفرح في البيت النبوي الكريم، إلا أنها انطوت على خصلة أصيلة في رسول الله ﷺ ألا وهي كراهة الظلم والتعدي على كرامة الناس وحرمتهم ، حيث أعطى أهله وهن في غمرة الفكاهة درسا في العدل والاحترام المتبادل .

وفي مشهد آخر أشد حدة وأبلغ أثرا نرى النبي ﷺ يرسخ هذا المبدأ ويرد الحق لأهله بلا مجاملة ولا تلكؤ ، (( عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ عند بعض نساءه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنات بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم ،

<sup>1</sup> سورة النساء الآية 58

<sup>2</sup> السنن الكبرى للنسائي ( 5 / 291 )

فسقطت الصفحة فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فلق الصفحة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة ويقول : (( غارت أمكم )) ثم حبس الخادم حتى أتى بصفحة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصفحة الصحيحة إلى التي كسرت صفحتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت <sup>1</sup> ، قال ابن حجر رحمه الله : ( وفي الحديث حسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه ) <sup>2</sup> .

أما حسن خلقه ﷺ فيدل عليه حسن تعامله مع أهله وملاطفتهن بجلوسه بين الزائرة والمزورة ووضع رجله على حجرهما ، وتفهمه ﷺ للدوافع المكروهة على بعض الأعمال المشينة من الغبراء بقوله : (( غارت أمكم )) ، وكذلك ضحكه ﷺ من طرفة تصرفات نسائه .

وأما عدله وإنصافه فيظهر من حكمه على التي كسرت صفحة أختها ، بأن دفعت صفحتها الصحيحة إلى صاحب الصفحة المكسورة وأبقت المكسورة عندها .

### قصة مناقشة أزواج النبي ﷺ إياه العدل في عائشة رضي الله عنهن :

لم يكن حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها سرا مخفيا عن أحد من أزواجه ، ولا من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، فقد صرح النبي بذلك في غير موضع ، وتصرف بتصرفات تعبر عن هذا الحب العميق ، غير أن أزواج النبي ﷺ لم يستطعن أن يكتمن غيرتهن لعائشة ، وحسدهن إياها بهذه المنزلة ، فشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ وناشدنه

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 5 / 2003 )

<sup>2</sup> فتح الباري ( 5 / 126 )

أن يعدل بينهن ، وهذه قصة تلك الشكوى والمناشدة وستتبعها بالشرح والبيان إن شاء الله تعالى .

(( عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن نساء رسول الله ﷺ كن حزينين : فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر : أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها : كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس ، من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدا إليه حيث كان من بيوت نسائه ، فكلمته أم سلمة بما قلن لها ، فلم يقل شيئا ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئا ، فقلن لها فكلميه ، قالت : فكلمته حين دار إليها أيضا ، فلم يقل لها شيئا ، فسألنها فقالت : ما قال لي شيئا ، فقلن لها كلميه حتى يكلمك ، فدار إليها فكلمته ، فقال لها : (( لا تؤذيني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتي وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة ، قالت : فقلت : أتوب إلى الله من أذاك .

ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول : إن نسائك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال ﷺ : (( يا بنية ألا تحبين ما أحب ؟ قالت : بلى ، فرجعت إليهن فأخبرتهن ، فقلن : ارجعي إليه ، فأبت أن ترجع ، فأرسلن

زينب بنت جحش فأتته فأغلظت ، وقالت : إن نسائك ينشدنك العدل في بنت ابن أبي قحافة ، رفعت صوتها ، حتى تناولت عائشة ، وهي قاعدة فسببتها ، حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم ، قال : فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، قالت : فنظر النبي ﷺ إلى عائشة فقال : (( إنها بنت أبي بكر ))<sup>1</sup> .  
وفي القصة فوائد ودروس ولعل من أهمها ما يلي :

### 1- شدة غيرة نساء النبي ﷺ .

لا يعرف كثير من الناس من غيرة نساء النبي ﷺ إلا ما كان من عائشة رضي الله عنها ، وذلك لشهرتها وكونها أشد من غيرة غيرها من النساء ، لأنها أصغر منهن وأكثرهن حبا لرسول الله ﷺ .

والواقع أنهم جميعا كن متصفات بهذه الغيرة الشديدة ، غير أن بعضهن كن أصبر وأكثر صبرا لما في قلوبهن من بعض ، و لما رأت نساء النبي صلى الله عليه وسلم التفضيل بينهن وبين عائشة من أصحاب رسول الله ﷺ انتهى صبرهن وهاجت غيرتهن ، فهرعن إلى رسول الله ﷺ يناشدنه العدل بين نسائه ، فأرسلن إحداهن إليه ثلاث مرات فلم يجبها ، وفي الأخيرة أسكتها بقوله ﷺ : (( لا تؤذيني في عائشة )) فانتهت ، غير أنهم لم يتركن المناشدة فأرسلن إليه فاطمة بنت رسول الله ﷺ فوعظها بقوله ﷺ (( يا بنية ألا تحبين من أحب )) فاتعظت وقالت : بلى .

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 2 / 911 ) صحيح مسلم ( 4 / 1891 )

ولكن لم تياس نساء رسول الله فأرسلن مرة أخرى واحدة منهن فجاءت بوجه غير وجه من سبقتها فأغلظت الكلام لرسول الله ﷺ ، ولم تكتف بذلك وسبت عائشة ، وردت عليها بالمثل ، وكان جواب رسول أن التفت إلى عائشة وقال : (( إنها ابنة أبي بكر )) .

**2- مناقشة نساءه إياه شيئا ليس مما يملك .**

ليس في هذه القصة ما يدل على أن رسول الله ظلم نساءه أو بخسهن شيئا من حقوقهن ، فالذي أغاظ قلوب نساء رسول الله ﷺ واضح وجلي وهو تصرف الصحابة الكرام في إهداء رسول الله ﷺ الهدايا وهو في بيت عائشة .<sup>1</sup>

و إلا فقد كن جميعا يدركن محبة رسول الله ﷺ عائشة أكثر من غيرها ، ولم يطالبن قط رسول الله بالتسوية بينهن وبين عائشة في المحبة ، لعلمهن باستحالة ذلك .

وليس في جواب رسول الله ﷺ تعرض لفعل الصحابة لأنه لم يأمرهم بذلك ولم يطلبه منهم ، وإنما بين ما تعلق بشخصه من أسباب تفضيل عائشة في المحبة على غيرها .

**3- أسباب ميل قلبه ﷺ لعائشة وحبها أكثر من باقي نساءه .**

ذكر رسول الله ﷺ في هذه القصة سببين من أسباب تفضيله عائشة في المحبة على سائر نساءه اللاتي اجتمعن معها عنده .

**السبب الأول : كون الوحي لم يأت به وهو في لحاف امرأة غيرها ، وفي ذلك دليل على فضلها عليهن .**

<sup>1</sup> حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام ص 115



**السبب الثاني : كونها (( ابنة أبي بكر )) ، وهو أول من آمن به من الرجال ، ومرافقه في الهجرة ، وصاحبه في الغار ، وخليفته من بعده ، وكانت عائشة تشبهه في حسن خلقه وكمال أدبه ، ومحبته لرسول الله وإيمانه به .**

### المظهر السابع : الحكمة في التعامل مع المشكلات العائلية .

( لقد عاش رسول الله ﷺ حياة عادية مع زوجاته ، فيها الحلو وفيها المر ، وكان لا بد أن تثور بعض المشاكل ، ولكن رسول الله ﷺ يطوق هذه المشاكل ويقضي عليها بما عرف عنه من الحكمة )<sup>1</sup> .

ولم يكن أزواج النبي الكريم ﷺ مجموعة من الملائكة الأبرار ، معصومات من الأخطاء ، ومحفوظات من حظوظ النفس ، بل كن بشرا كسائر البشر يفرحن ويغضبن ، ويحلمن ويجهلن ، و يعترين ما يعترى غيرهن من النساء مما تقتضيه الطبيعة البشرية ، وتتطلبه الحكمة التشريعية .

وليس من الغريب ولا من المستحيل لا شرعا ولا عقلا أن تحدث مشاكل أسرية وقضايا اجتماعية في البيت النبوي الكريم ، مثل ما كان بينهن من الغيرة والتنافس ، ومن المطالبة بالتوسعة عليهن في النفقة من الأمور المنزلية ، وكذلك ما كان سببه خارجيا كحادثة الإفك وغيرها .

وهذه الحوادث وإن بدت في ظاهرها مقلقة ومزعجة بتعلقها بزوجات أفضل الأنبياء وأشرف الخلق ، إلا أنها تحمل من الدروس والعبر ومن التشريعات والحكم ما تعكس لنا

<sup>1</sup> دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة ص 181

جانبا مهما من جوانب الكمال البشري عند النبي محمد ﷺ ، حيث كان يتعامل مع تلك المشاكل بهدوء تام وحكمة متناهية .

وفي يلي نماذج مشرقة من العلاج النبوي الناجع للمشاكل الأسرية :

### النموذج الأول : مشكلة قلة النفقة وشظف العيش

لم يكن رسول الله ﷺ ملكا من الملوك حيزت له الدنيا وما فيها ، ولم يكن بيته قصرا مملوء بصنوف المتع والم لذات ، فقد اختار ﷺ أن يكون عبدا رسولا على أن يكون ملكا رسولا (( عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال يا محمد أرسلني إليك ربك ، قال : أفملكنا نبييا يجعلك ، أو عبدا رسولا ؟ قال جبريل : تواضع لربك يا محمد ، قال : بل عبدا رسولا ))<sup>1</sup> .

وقد جسدت أو قربت لنا كتب الشمائل معرضا حيا لبيت النبي ﷺ لنشاهد من خلاله ما بداخل منزل رسول الله ﷺ من حجرات نسائه من الزينة و الأثاث ، ومن الطعام والشراب .

أما عن فراشه ﷺ (( فعن عائشة رضي الله عنها قالت : إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من آدم حشوه ليف ))<sup>2</sup> ، وقولها ( من آدم بفتحتين جمع أدمة أو آدم ، وهو الجلد الأحمر المدبوغ ، أو مطلق الجلد )<sup>3</sup> ، (( وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال :

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد ( 2 / 231 ) وصححه الألباني في الصحيحة:1002

<sup>2</sup> سنن الترمذي ( 4 / 237 ) صححه الألباني في مختصر الشمائل:173/1

<sup>3</sup> أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ص 467

سألت عائشة ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك ؟ قالت : ( من آدم حشوه من ليف )  
وسألت حفصة ما كان فراش رسول الله في بيتك ؟ قالت : (( مسحاً نثنيه نثيتين فينام  
عليه ، فلما كان ذات ليلة ، قلت لو نثيته أربع نثيات لكان أوطأ له ، فلما أصبح قال :  
(( ما فرشتموا لي الليلة ؟ )) قالت : قلنا هو فراشك ، إنا نثيناه بأربع نثيات ، قلنا هو  
أوطأ لك ، قال : (( ردهو لحالته الأولى ، فإنه منعتني وطاءته صلاتي الليلة ))<sup>1</sup> .  
أما وصف عيشه ﷺ فعن مالك بن دينار قال : (( ما شبع رسول الله ﷺ من خبز قط  
، ولا لحم ، إلا على ضفف ))<sup>2</sup> ، (( وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كنا آل  
محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار ، إن هو إلا التمر والماء ))<sup>3</sup> ، قال الهيثمي رحمه الله :  
( وفيه دليل على ضيق عيشهم المستلزم لضيق عيشه ﷺ )<sup>4</sup> ، قال أبو الحسن الندوي  
رحمه الله : ( وكان لا يجب هذا الطراز لنفسه فقط ، بل كان يجب لأهله وعياله ، فروي  
عنه أنه قال : (( اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ))<sup>5</sup> ، (( وعن ابن عباس : أن النبي  
ﷺ كان يبيت الليالي طاوياً و أهله لا يجدون عشاء ، قال : وكان عامة خبزهم  
الشعير ))<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي في الشمائل الحمديّة ( وضعفه الألباني في مختصر الشمائل ص 173 )

<sup>2</sup> أخرجه الترمذي في الشمائل الحمديّة ( وصححه الألباني في مختصر الشمائل ص 78 )

<sup>3</sup> صحيح مسلم ( 4 / 2282 )

<sup>4</sup> أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل ص 538

<sup>5</sup> السيرة النبوية للندوي ص 425

<sup>6</sup> الطبقات الكبرى ( 1 / 400 )

وعلى كل حال لم يكن في بيت رسول الله ﷺ ما ترمق بالأبصار من زينة الدنيا ومتعتها، أو تمتد إليها عيون عباد المظاهر .

ولشدة الفقر وشظف العيش في بيت النبي ﷺ كان بعض أهله يطالبه بالتوسعة عليهن في النفقة ، طالبته بعض نساءه يوماً بالتوسعة عليهن في النفقة ، وسألته شيئاً من متاع الدنيا ، و قيل سألته ذهباً ، ولم يكن عنده ﷺ ، فانزعج من ذلك واهتم ، فنزل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } <sup>1</sup> ، (( وعن جابر رضي الله عنهما قال : دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساءه واجماً ساكتاً ، قال : فقال : لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة ، فقمتم إليها ، فوجئت عنقها ، فضحك رسول الله ﷺ وقال : (( هن حولي كما ترى يسألني النفقة )) ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً ، أو تسعاً وعشرين يوماً ، ثم نزلت هذه الآية { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ } حتى بلغ { لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيماً } ، قال : فبدأ بعائشة ، فقال : (( يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً ، أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك )) ، قالت :

<sup>1</sup> سورة الأحزاب الآية 28

وما هو يا رسول الله ﷺ ؟ فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال : (( لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يعثني معنتا ولا متعنتا ، ولكني بعثني معلما ميسرا ))<sup>1</sup> .

وفي القصة دروس وعبر كثيرة منها ما يلي :

### الدرس الأول : اتباع الوحي الإلهي في معالجة المشكلات العائلية .

إن النبي ﷺ كان يدرك تماما ما اختاره لنفسه وعاهد ربه عليه من أن يجعله عبدا رسولا ، ومعنى ذلك أن الله تعالى لن يجعل حياته ﷺ كحياة الملوك المترفين ، ولن يعيش نسائه كنسائهم ، ولا أولاده كأولادهم ، وهذا ما يجب أن يفهمه أهله ويستعدون للصبر عليه رجاء ما عند الله تعالى من الرضوان والنعيم المقيم .

و لما حصل من أهله ﷺ ما يخالف ذلك الصبر والاحتساب لم يتعجل في اتخاذ موقف نحو تصرفهن هذا ، بل انتظر أمر ربه وجلس واجما ساكتا وحوله نسائه ، حتى نزل الوحي من الله بتخييرهن الله ورسوله والدار الآخرة ، أو الدنيا ومتاعها الفاني ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فرضي الله عنهن أجمعين .

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 2 / 1104 )

وفي هذا إرشاد لجميع الأزواج أن يستفيدوا الحلول الناجعة والمواقف الصارمة مما يحدث في بيوتهم من شرع الله تعالى من هداية القرآن والسنة ، قال تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } <sup>1</sup> .  
 وأما ما نراه ونسمع من نشر مشاكل الأسر في وسائل الإعلام المختلفة ، لكي يتحدث عنها من لا يعرف عنها ولا عن الواجب فيها شيئا ، فليس إلا فضحا من الإنسان لنفسه وصبا للزيت على النار الملتهب .

### الدرس الثاني : إشراك أهل الزوج في معالجة المشكلات الأسرية .

يجب أن تبقى المشاكل الأسرية طي الكتمان داخل جدران البيت الأربعة ، ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وإذا احتيج إلى إشراك عناصر خارجية لعلاج المشكلات فلتكن أقرب الناس إلى الزوجين ، أما الأجانب ومن ليس لهم صلة بأصحاب المشكلة فليس من المفضل أن يشغلوا بها ، قال تعالى : { وَإِنْ حِفْظُ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } <sup>2</sup> .  
 ولذلك حبس الرسول ﷺ الناس حول بيته ولم يأذن لأحد منهم بالدخول عليه وهو على الحال التي عليها هو وأهله ، حتى جاء أبو بكر وعمر وهما من هما في بيت رسول الله ﷺ ، فهما صهراه ووزيره ، فأذن لهما فدخلوا ، وقص عليهما القصص .

<sup>1</sup> سورة الإسراء الآية 9

<sup>2</sup> سورة النساء الآية 35

### الدرس الثالث : التشخيص الدقيق للأسباب الحقيقية للمشكلات .

كان رسول الله ﷺ دقيقا في الكشف عن السبب الحقيقي للمشكلة ، حيث ذكر للحاضرين أن سببها هو سؤال النفقة ، وليس مجرد النفقة الواجبة كما هو ظاهر النص ، فقد قيل : إن بعضهن سألت ذهابا أو غيره مما ليس عند رسول الله ﷺ ، وهذا السلوك يوحي بعدم الرضا بما يعرفن من حال رسول الله ﷺ ، إذ لم يكن يخفى على أحد منهن الوضع الاقتصادي في بيت النبوة ، فما الذي حصل إذن ، وما ذا تغير من حال رسول الله ﷺ حتى ظهرت منهن هذه المطالب والشكاوى؟؟؟

هذا هو الذي أقض مضجع رسول الله ﷺ وآلم قلبه ، لأنه غير مستعد للرجوع عن خيار العبودية والرسالة الذي اختاره تواضعا لربه سبحانه .

وبقي أمام النبي سؤال وهو هل يلزم أهله بهذا الخيار الصعب ، ويأخذهن بتبعاتها الثقيلة، أو يتركهن لتختار من شاءت منهن أن تبقى مع النبي في ما اختار الله له ، أو تختار ما تشتهييه من زينة الدنيا ومتاعها الزائل؟؟؟ .

ومن المعروف في فقه الدعوة أن التضحيات يوعظ بها الذين آمنوا ليرتقوا إلى أعلى درجات الإيمان والطاعة ، ويفوزوا بأعلى المقامات عند ربهم ، ولكن لا يأخذ الناس بها أخذًا لما لم يعلم من قوة إيمانهم وصبرهم على البلاء ، أو ضعفهم وقلة صبرهم .

### الدرس الرابع : الحرص على حل المشكلات والقضاء على أسبابها .

بعض المشاكل الأسرية لا تنفع في معالجتها الحلول الجزئية ولا المسكنات المؤقتة ، فلا بد من حسم لمادتها وإنهاء لتداعياتها ، ومن تلك المشاكل ما يتعلق بالضوابط المالية التي

ليس من عمل الإنسان وكسبه غالباً ، فمتى لم تستطع المرأة أن تصبر على حال زوجها الاقتصادي خيرت بين البقاء في عصمته منتظرة الفرج من الله تعالى ، وبين الفرقة والبحث عن ترضى عن مستواه المعيشي ، لا سيما إذا كان الزوج قد بذل قصارى جهده في العمل والتكسب ، وأنفق من سعته .

كان بإمكان النبي ﷺ أن يصبر أهله إلى ميسرة ، أو يقضي لهم حوائجهم العاجلة ويمينهم في الآجلة ، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك ، فقد انتظر أمر ربه الذي قضى بالتخيير ، فصار إلى قضاء الله بكل قبول وتسليم ، مستعداً للعمل مع أي ظرف طارئ ، مهما كان صعباً ، فتلا عليهن قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً }<sup>1</sup> .

قال ابن عاشور رحمه الله ( فالمعنى : إن كنتن تؤثرن ما يرضي الله ، ويحبه رسوله ، والدار الآخرة ، فتخترن ذلك على ما يشغل عن ذلك ، كما دلت عليه مقابلة إرادة الله ورسوله والدار الآخرة بإرادة الحياة الدنيا وزينتها ، فإن المقابلة تقتضي إرادتين يجمع إحداهما وبين الأخرى ، فإن التعلق بالدنيا يستدعي الاشتغال بأشياء كثيرة من شؤون الدنيا لا محيص من أن تلهي صاحبها عن الاشتغال بأشياء عظيمة من شؤون ما يرضي الله وما يرضي رسوله عليه الصلاة والسلام ، وعن التملّي من أعمال كثيرة مما يكسب الفوز في الآخرة )<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> سورة الأحزاب الآية 28

<sup>2</sup> التحرير والتنوير ( 235 / 21 )



وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى ( فلو أن نساءه ﷺ غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد ، ولما استطاع الرجال صرفهن عنه ، ولما قامت للأمة قائمة ، فإن الإسراف والترف والزينة يهلك الأمم الغنية ، فكيف تقوى بها الأمم الفقيرة ، أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لفساد البشر وظلمهم بتنشئتها على التنافس في الشهوات والزينة ، وإنما أباح الله الزينة والطيبات في حالة السعة والثروة ، بدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة ، والغرض من كثرة أزواجه أن يكن قدوة للنساء في الفضائل النسائية ، كما أنه هو القدوة العليا والأسوة الحسنی للأمة كلها في معاملة النساء وفي سائر الأمور ، وملاك ذلك كله إثارة سعادة الآخرة على متاع الدنيا )<sup>1</sup> .

وعلى نساء الدعاة والمصلحين أن يتخذن من نساء رسول الله ﷺ أسوة وقدوة ، لأن ما ترشح له أزواجهن من وراثة النبوة تقتضي منهم الاشتغال بنشر دين الله وإعلاء كلمته وجهاد الظالمين ، ولا يمكن الجمع بين ذلك وبين الاشتغال بجمع حطام الدنيا والسعي خلف زيتها من البيوت الفاخرة والدواب الفارحة ، وعلى من اختارت أن تقترن بورثة الأنبياء من العلماء والدعاة والمصلحين أن تتحلى بالصبر والاحتساب كما فعلت أمهات المؤمنين ، ليكون أجرين رضوان الله وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض ، ولا تلتفت إلى ما عند بنات جنسها من الزينة والمتاع ، فتطالب زوجها المشغول بقضايا الدعوة والإصلاح والتربية والجهاد بسفاسف الأمور وتوافه القضايا .

<sup>1</sup> حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام ص 127

## الدرس الخامس : إرشاد الأزواج ونصحهن إلى ما يحقق لهن المصلحة .

على الرجل أن يحرص على ما ينفع أهله في الدنيا والآخرة ، ويدلن على أفضل الطرق المؤدية إلى ذلك ، فينصح لهن ، ولا يغشهن في صغير أو كبير ، حتى وإن أدى ذلك فيما يظن إلى فقدان بعض مصالحه أو فوات شيء من ملذاته .

فلا ينبغي على الزوج أن يكون أنانيا لا يهتم إلا بما ينفعه وحده ، ولا شأن له بما ينفع أهله ، إن ذلك ليس من خلق الزوج المثالي ، فضلا عن الزوج المسلم قال ﷺ : (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ))<sup>1</sup> .

ولذلك لما نزلت آية التخيير قال رسول الله ﷺ لعائشة ناصحا لها ومرشدا : (( يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا ، أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك )) ، والحكمة في تخصيص عائشة بهذه النصيحة - فيما يظهر لي - كونها أصغرهن وأحوجهن إلى مشورة الوالدين لقلّة تجربتها في الأمور العائلية ، بخلاف غيرها من أهله ، ممن كن قد عرفن وجربن من هذه الأمور ما لم تعرف ولم تجرب هي .

## النموذج الثاني : مشكلة الغيرة الشديدة عند نسائه ﷺ .

من المشكلات الأسرية التي كانت تحدث في بيت النبي الكريم ﷺ مشكلة الغيرة الشديدة ، والغيرة كما قال ابن حجر رحمه الله : ( بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 1 / 14 ) ، صحيح مسلم ( 1 / 76 )

راء ، قال عياض وغيره : هي مشتقة من تغير القلب ، وهيجان الغضب ، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون بين الزوجين )<sup>1</sup> .

ولا توجد امرأة ليس بغيراء ، وليس ذلك في الأصل بعيد ، إذا كان الدافع إليها غلبة المحبة لبعلمها ، ولم تؤد إلى ظلم ضررتها وانتقاص حقها .

وكثيرا ما يعاني الرجل المعدد في النساء من حالات الغيرة المجاوزة للحدود الشرعية والعقلية، ويتفاوت الرجال في طريقة التعامل مع مشكلة الغيرة وما ينتج عنها من آثار سلبية على الأسرة ، فمن الرجال من يقف حائرا واجما وسط أزواجه يصيح كلما صحن حوله ، ويسكن كلما سكن ، ومنهم من يوزع الركلات والضربات بينهن دون أن يفرق بين ظالمة ومظلومة ، وآخرون يلجئون إلى ركن من الحكمة شديد ، فينصف من الظالمة للمظلومة ، ويحاصر آثار الغيرة السلبية ، ويطلق مفعولها قبل أن تنفجر وتدمر البيت بأكمله .

وقد عرف بيت النبوة على شرفه وطهارته مشكلة الغيرة ، وتكررت حالاته بين نساء النبي الكريم ﷺ فعانين من نوباتها وصرعاتها ، (( عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحيفة فانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فلق الصحيفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة ، ويقول : (( غارت أمكم )) ثم حبس

<sup>1</sup> فتح الباري ( 9 / 320 )

الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحيفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت ))<sup>1</sup> .

وفي الحديث فوائد ودروس نذكر منها :

**الفائدة الأولى : تفهم نفسية الغيراء .**

المرأة الغيراء في بعض حالاتها تشبه المجنونة ، وتتصرف بتصرفات غير محسوبة أحيانا ، قال ابن حجر رحمه الله : ( وقالوا فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها ، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا ، بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة ، وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعا (( إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه ))<sup>2</sup> .

وبسبب حجب الغيرة الشديدة لعقل المرأة الغيراء تحدث ما نرى ونسمع من حالات اعتداء على الضرائر من قتل بالسم أو بالسحر ، وصب الزيت الحار على الوجوه ، وقتل الأولاد وإيقاعهم في المصائب عمدا ، وغير ذلك من التصرفات الحمقاء ، ولا شك أن الغيراء حين تقدم على مثل هذه الأعمال الشنيعة تكون قد فقدت عقلها أو نصف عقلها ، ولذلك تندم على ما تفعل بعد ذلك ، وقد تلجأ إلى الانتحار أو طلب الطلاق من زوجها لتخرج من المدينة أو القرية التي اقترفت فيها هذه الجرائم .

<sup>1</sup> سبق تخريجه

<sup>2</sup> فتح الباري ( 9 / 325 )

ولهذا يجب على الأزواج أن يتفهموا نفسية المرأة الغيرة ، لا لتبرير أعمالها الخاطئة أو تصويبها ، ولكن ليتعاملوا معها بطريقة موضوعية ، بل ليتفادى تعاطي كل ما يؤدي إلى هيجان الغيرة المستكنة بداخلها .

قال ابن حجر رحمه الله : ( وقوله : (( غارت أمكم )) اعتذار منه ﷺ لثلاثي يحمل صنيعة على ما يذم ، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة ، فإنها مركبة في النفس ، بحيث لا يقدر على دفعها )<sup>1</sup> .

### الفائدة الثانية : تضمين الغيرة فيما تتلف من الأموال ، ورد ظلمها .

ليس من المقبول السكوت عن تصرفات المرأة الغيرة المجاوزة لحدود العقل والشرع ، بل الواجب على القيم على المرأة الغيرة أن يحاسبها على تصرفاتها ويردها إلى صوابها ، ويمنعها من الظلم والاعتداء .

ولذلك لم يتردد النبي ﷺ بالنطق بالحكم المناسب للتصرف التي صدر من إحدى أمهات المؤمنين تجاه أحدهن بحضرة ﷺ ، وهو كما عند الترمذي (( طعام بطعام وإناء بإناء ))<sup>2</sup> ، قال ابن حجر رحمه الله : ( قال ابن بطلال : احتج به الشافعي والكوفيون فيمن استهلك عروضا أو حيوانا فعليه مثل ما استهلك ، قالوا ولا يقضي بالقيمة إلا عند عدم المثل ، وذهب مالك إلى القيمة مطلقا ، وعنه في رواية كالأول ، وعنه ما صنعه الآدمي فالمثل ، وأما الحيوان فالقيمة ، وعنه ما كان مكيلا أو موزونا فالقيمة ، و إلا

<sup>1</sup> فتح الباري ( 5 / 126 )

<sup>2</sup> سنن الترمذي ( 3 / 640 )

فالمثل ، وهو المشهور عندهم ، وأما ما أطلقه عن الشافعي فيه نظر ، وإنما يحكم في الشيء بمثله إذا كان متشابه الأجزاء ، وأما القصة فهي من المتقومات لاختلاف أجزاءها ، والجواب ما حكاه البيهقي : بأن القصعتين كانتا للنبي ﷺ في بيتي زوجته ، فعاقب الكاسرة بجعل القصة المكسورة في بيتها ، وجعل الصحيحة في بيت صاحبتها ، ولم يكن هناك تضمين ، و يحتمل على تقدير أن تكون القصعتان لهما أنه رأى ذلك سدادا بينهما ، فرضيتا بذلك ، ويحتمل أن يكون ذلك في الزمان الذي كانت العقوبة فيه بالمال كما تقدم قريبا ، فعاقب الكاسرة بإعطاء قصعتها للأخرى .

قلت : ( الكلام لابن حجر ) ويعد هذا التصريح بقوله (( إناء بإناء )) ، وأما التوجيه الأول فيعكر عليه قوله في الرواية التي ذكرها ابن أبي حاتم (( من كسر شيئا فهو له ، وعليه مثله )) زاد في رواية الدارقطني (( فصارت قضية )) ، وذلك يقتضي أن يكون حكما عاما لكل من وقع له مثل ذلك ، ويبقى دعوى من اعتذر عن القول به بأنها واقعة عين لا عموم فيها ، لكن محل هذا ما إذا أفسد المكسور ، فأما إذا كان الكسر خفيفا يمكن إصلاحه ، فعلى الجاني أرشه ، والله أعلم .

وأما مسألة الطعام فهي محتملة لأن يكون ذلك من باب المعونة والإصلاح دون بت الحكم بوجود المثل فيه ، لأنه ليس له مثل معلوم ، وفي طرق الحديث ما يدل على ذلك ، وأن الطعامين كانا مختلفين ، والله أعلم ، واحتج به الحنفية لقولهم إذا تغيرت العين

المغصوبة بفعل الغاصب حتى زال اسمها وعظم منافعها زال ملك المغصوب عنها ،  
وملكها الغاصب وضمنها ، وفي الاستدلال لذلك بهذا الحديث نظر لا يخفى ...<sup>1</sup>

### النموذج الثالث : مشكلة الطعن في عرض أهله ﷺ .

إن من أصعب الأمور على الرجل أن ينال من عرض أهله وترمى بالفاحشة ، والرجل  
كالمرأة يغار على زوجه و بناته وجميع أهله ، ويحرص على ما يصون كرامتهن ، وقل من  
الرجال من يملك صوابه إذا حدث في بيته من المشكلات ما يتعلق بالشرف والعرض ،  
(عن وارد كاتب المغيرة قال : قال سعد بن عباد : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته  
بالسيف غير مصفح ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : (( أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأننا أغير  
منه ، والله أغير مني ))<sup>2</sup> .

فقد وصف نفسه بالغيرة الشديدة على محارمه ﷺ ، ولكنه كان معتدل السيرة وحسن  
الطريقة في التعامل مع قضايا الشرف والعرض ، ولما ابتلي في أحب نسائه إليه أم المؤمنين  
عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك تصرف بكامل الحكمة والروية رغم تأثره البالغ  
وتألمه الشديد بهذه الفرية العظيمة ، فقد قدم للأزواج من بعده دروسا في أخلاقيات  
التعامل الأسري ما لا يجدونه أبدا في سيرة أي مصلح قبله أو بعده .

<sup>1</sup> فتح الباري ( 5 / 125 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 6 / 2511 ) ، صحيح مسلم ( 2 / 1136 )

## قصة الإفك دروس وعبر :

(( كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معها ، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب ، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ، دنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي ، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت ألتمس عقدي فحبسني ابتغائه .

قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني ، فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ، ولم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقمة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج ، حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فحئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب ، فتيمنت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني ويرجعون إلي ، فبينما أنا جالس في منزلي غلبتني عيني فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفني حين رأني ، وكان رأني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبائي ، و والله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت



منه كلمة غير استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقامت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول .  
 قالت : فهلك من هلك ، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول .  
 قال عروة : أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، وقال عروة أيضا : لم يسم من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، و حمنة بنت جحش ، في ناس آخرين لا علم لي بهن ، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى ، وإن كبر ذلك يقال له عبد الله بن أبي بن سلول ، قال عروة : كان عائشة تكره أن يسب عندها حسان ، وتقول إنه الذي قال :

فإن أبي و والده و عرضي لعرض محمد منهم وقاء

قالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فاشتكت حين قدمت شهرا ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف ، فذلك يريني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت حين نقهت .

فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع - وكان متبرزنا - وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، قالت : وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا .

قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ،  
 وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن  
 عبد المطلب ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم  
 مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : بئس ما قلت ! أتسبين رجلا  
 شهد بدرا؟ فقالت : أي هنتاه ، ولم تسمعي ما قال ؟ قالت : وقلت : ما قال ؟  
 فأخبرتني بقول أهل الإفك .

قالت : فازددت مرضا على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ  
 فسلم ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأريد أن  
 أستيقن الخبر من قبلهما .

قالت : فأذن لي رسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : يا أمته ما ذا يتحدث الناس ؟ قالت :  
 يا بنية هوني عليك ، فوالله قل ما كانت امرأة وضيفة عند رجل يجبها لها ضرائر إلا أكثرن  
 عليها ، قالت : فقلت : سبحان الله ، أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك  
 الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لي دمع و لم أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي .

قالت : ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي  
 يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي  
 يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه ، فقال أسامة : أهلك ، ولا نعلم إلا  
 خيرا ، وأما علي فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل  
 الجارية تصدقك ، قالت : فدعا رسول الله ﷺ برة فقال : أي برة هل رأيت شيئا

يريبك ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه ، غير أنها جارية حديثة السن تنام على عجيز أهلها فتأتي الداجن فتأكله .

قالت : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر ، فقال : (( يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما يدخل على أهلي إلا معي )) قالت : فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال : أنا يا رسول الله أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج ، قالت : وكان قبل ذلك رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل ، فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتله ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا رسول الله ﷺ قائم على المنبر ، قالت : فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فبكيت يومي ذلك كله ، لا يرقأ لي دمع و لم أكتحل بنوم ، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي ، فبينما أبوي جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت له ، فجلست معي تبكي ، قالت : فبينما نحن على ذلك دخل رسول

الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : (( أما بعد يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه )) ، قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله عني فيما قال ، فقال أبي : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت أمي : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا : إني والله لقد علمت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أي حينئذ بريئة لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } ثم تحولت واضطجعت على فراشي ، والله يعلم أي حينئذ بريئة وأن الله مبرئي براءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها ، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : (( يا عائشة أما الله

فقد براك )) ، قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل ، قالت : ثم أنزل الله هذا في براءتي .

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : (( والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا ، بعد الذي قال لعائشة ما قال )) ، فأنزل الله { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ } إلى قوله { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }<sup>1</sup> ، قال أبو بكر : (( بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي )) ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : (( والله لا أنزعها منه أبدا )) .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقالت لزينب : (( ما ذا علمت أو رأيت ؟ )) فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيرا ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع ، قالت : وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك )<sup>2</sup> .

تلك هي قصة الإفك الأليمة بجميع فصولها المحزنة ، على لسان ضحيتها البريئة في تصوير أدبي بليغ وأمانة في النقل قل أن يرى مثلها فيمن يتحدث عن ظلم وقع عليه .

والقرآن الكريم تناول قصة الإفك أيضا بطريقته المميزة في القصص ، آتيا على أهم الفصول ، ومركزا على مواضع العظة والاعتبار ، ومعلما بالقضايا والأحكام ، وذلك في سورة النور من الآية 11 إلى 27 .

<sup>1</sup> سورة النور الآية 22

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 4 / 1521 )

وبالنظر والتأمل في قصة الإفك كما ورد في القرآن والسنة نتوصل إلى جملة من الدروس والعبر والعظات والأحكام تعين المسلم على تجاوز كثير من مشكلات الحياة الاجتماعية ، وبالأخص ما يتعلق منها بالمشكلات الأسرية ، وفيما يلي نحاول قدر استطاعتنا أن نستنبط شيئاً يسيراً من تلك الدروس والعبر والعظات والأحكام والله ولي التوفيق :

### الدرس الأول : عظم بلاء رسول الله ﷺ .

الأنبياء والمرسلين أعظم الناس بلاء ، وما يتليهم به الله تعالى أضعاف ما يتلي به غيرهم من الناس ، قال رسول الله ﷺ : (( إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ))<sup>1</sup> .

ولقد ابتلى الله نبيه محمد ﷺ بألوان من الابتلاءات وصنوف من المصائب ، ومن ذلك : اضطهاده في دينه هو ومن آمن به ، ومنعه من تبليغ رسالته ، وابتغاء قتله ، أو سجنه أو إخراجة من بلده وقومه ، قال تعالى : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }<sup>2</sup> .

ومنها معارضة الكفار من المشركين ومن أهل الكتاب لما جاء به من عند ربه ، من عقائد الإيمان وشرائع الإسلام ، بالتكذيب والتشويش واللغو قال تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ }<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> مسند أحمد (6 / 369) ، صححه الألباني في الصحيحة 226/1

<sup>2</sup> سورة الأنفال الآية 30

<sup>3</sup> سورة فصلت الآية 26

ومن أشد الفتن والبلايا وأثقلها على النبي ﷺ نيل المنافقين من عرض أهله واتهامهم أحب أزواجه إليه بالفاحشة ، حتى تألم من ذلك وطلب من أصحابه من يكفوه أذى المنافقين ، وقال : (( ما بال أقوام يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي ))<sup>1</sup> .

ولقد صبر رسول الله ﷺ على هذه الأذى البالغة والقول الشنيع في أهله من المنافقين ، والتزم الأدب اللائق به ﷺ ، فرغم طول المدة التي خاض فيها الناس في الإفك وانتشار القيل والقال حول عرض أهله لم يفعل ﷺ أو يقل ما يلام به شرعا أو عقلا ، لأن الله تعالى أمره بالصبر والتحمل لما يلقاه في سبيل الله مقتديا بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذين أوذوا بمثل ما أؤذي به ﷺ و أكثر قال تعالى { وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا }<sup>2</sup> ، وقال سبحانه : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ }<sup>3</sup> ، وعن أبي وائل عن عبد الله ﷺ قال : لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسا في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناسا من أشرف العرب ، فأثرهم يومئذ في القسمة ، قال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، وما أريد بها

<sup>1</sup> السيرة النبوية لابن كثير ( 4 / 265 )

<sup>2</sup> سورة الأحزاب الآية 47

<sup>3</sup> سورة الأحقاف الآية 35

وجه الله ، فقلت : والله لأخبرن النبي ﷺ فأتيته فأخبرته فقال : (( فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ، رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر ))<sup>1</sup> .

### الدرس الثاني : سوء أدب المنافقين مع رسول الله ﷺ .

كان المنافقون في المدينة فئة اجتماعية مزعجة ، مندسة بين المسلمين في الجمع والجماعات ، والمجالس الخاصة ، وتحسبهم مع المسلمين في الظاهر والباطن ، وهم في حقيقة الأمر من أشد الناس عداوة لله ولرسوله وللمسلمين ، لا يألون جهدا في تفريق كلمتهم أو إفشاء سرهم أو الطعن في دينهم ، وكان الله تعالى يكشف كيدهم ويظهر خبثهم بين الحين والآخر، وليس حادثة الإفك إلا حلقة من مسلسل إساءاتهم المتلاحقة ومكرهم الكبار .

قال الدكتور أكرم ضياء العمري : (( وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين ، فلما كسب الإسلام نصرا جديدا ازدادوا غيظا على غيظهم وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشتفي من الغل ، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار ، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء رسول الله ﷺ في نفسه وأهل بيته ، فشنوا حربا نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها ))<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 3 / 1148 )

<sup>2</sup> السيرة النبوية الصحيحة ( 2 / 408 )



وهذه الحادثة الأليمة بلا شك قد كدرت صفو حياة النبي ﷺ الاجتماعية ولو لفترة من الزمن يسيرة .

### الدرس الثالث : سنة سفر الرجل بنسائه في الغزوة ونحوها .

من فوائد قصة الإفك ودروسها المستفادة (( مشروعية أخذ المجاهد امرأته للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك ))<sup>1</sup> ، وذلك كي تنال المرأة فضل الجهاد في سبيل الله ، فالجهاد في سبيل الله ليس مشروعاً على الرجال فقط ، ولكن من شاركت فيه من النساء بشروطه نالت الأجر إن شاء الله تعالى ، ولتقوم المرأة بخدمة زوجها وتأييدها في السفر ، وكذلك تحصين نفسها وزوجها وحفظه من الفتن والمغريات المنتشرة في ديار الكفر .

ويقاس على سفر الجهاد كل سفر واجب أو مستحب كالسفر للحج أو طلب العلم أو العمل في ديار بعيدة عن الوطن والأهل ، فيستحب حينئذ أن يصطحب الإنسان أهله لتحقيق ما ذكر من المقاصد والغايات .

فكم من حوادث الخيانة الزوجية سببها طول غيبة الرجل عن أهله وبعده عنهم ، والسفر يجرى المرء على كثير من الأفعال والأقوال التي لم تكن لتخطر على باله حالة الإقامة بين الأهل والعشيرة ، والله المستعان .

### الدرس الرابع : حرص الصحابة على خدمة أهل البيت وأدبهم معهم .

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يفرقون بين النبي ﷺ و أهله في الحب والتقدير والإجلال ، وذلك لما يعرفون من شرف أهل بيت النبوة وفضلهم ، ولذلك كانوا يحبونهم

<sup>1</sup> السيرة النبوية وفق المصادر الأصلية 441

ويخدمونهم ويتعاملون معهم بأدب وتوقير ، ويعتبرون أزواج النبي ﷺ أمهاتهم بعد أن أنزلهن الله تلك المنزلة ، قال تعالى : { النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } <sup>1</sup> .  
 وكانوا يعتقدون حرمة نكاحهن من بعد رسول الله ، وخطورة إبدائهن بقول أو فعل لقوله تعالى { وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ دَلِيلَكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } <sup>2</sup> .

وفي قصة الإفك صورة ناصعة من صور إجلال الصحابة رضي الله عنهم لأهل بيت رسول الله ﷺ وخدمتهن وأدبهم الجرم في التعامل معهن نراها في سلوك الصحابي الجليل صفوان بن المعطل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما عثر عليها .  
 قالت عائشة رضي الله عنها: (( وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفني حين رأني ، وكان رأني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني )) استرجع لعظمة المصيبة ، أو للتعجب ، وكلاهما وارد في هذا المشهد ، فقد استرجع صفوان لتخلف أم المؤمنين عن موكب رسول الله ﷺ في مكان ليس فيه أحد ، وليس لها حيلة لدركهم !

لم يتأخر صفوان فقد جاء براحلته لتلحقها برسول الله ﷺ ، قالت عائشة : (( وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقامت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول )) ، وهما طول الطريق سكوت لم يتبسطا

<sup>1</sup> سورة الأحزاب الآية 6<sup>2</sup> سورة الأحزاب الآية 53

في الحديث ، لم يسألها أين كانت ولا لماذا تأخرت ، ولا غير ذلك ، ولم تسأله مثل ذلك ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : (( و والله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه )) ، ولم تر منها شيئاً بعد أن ستر وجهها لما سمعت استرجاع صفوان .  
 وذكر الإمام النووي رحمه الله من فوائد قصة الإفك : (( حسن الأدب مع الأجنبية ، لاسيما في الخلوة بمن عند الضرورة في برية أو غيرها ، كما فعل صفوان من إبرائه الجمل من غير كلام و سؤال ، وأنه ينبغي أن يمشي قدامها لا يجنبها ولا ورائها ))<sup>1</sup> .  
 وليعتبر بهذا كل مسلم ملتزم بشرع الله تعالى في علاقاته مع نساء أصحابه وأقاربه ، فإن ظروف العمل والحياة العامة في زمننا قد تلجأ إلى بعض الضرورات ، وحينئذ يجب تقدير الضرورة بقدرها فلا يتوسع في المحادثات ، أو يطول في المجالس إلا للحاجة أو ضرورة ، حفظاً للقلوب أن تزيغ ، وصيانة للحرمات أن تنتهك ، والشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم في العروق .

### الدرس الخامس : أهمية الشورى في حل المشكلات الأسرية .

الشورى سنة مؤكدة وسيرة محفوظة ، كان يعمل بها رسول الله ﷺ كلما أقدم على عمل أو قول يستجوبها ، ويلجأ إليها فيما أغلق عليه من أمور الحياة ، فقد استشار النبي ﷺ أصحابه في أمور الدعوة إلى الله ، وفي مسائل الجهاد في سبيل الله ، وشاورهم في القضايا الأسرية والمشاكل الاجتماعية ، وكل ذلك من العمل بقول الله تعالى : { وَشَاوِرْهُمْ فِي

<sup>1</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 17 / 116 )

الأمرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }<sup>1</sup> ، وتعلّما لأصحابه وسائر أمته من بعده بمبدأ عظيم من مبادئ إدارة الشأن العام دينيا كان أو دنيويا ، كما هو الواجب على المسلمين في كل زمان ومكان ، قال تعالى : { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }<sup>2</sup> .

وكان طريقة النبي ﷺ ومنهجه في الشورى كلما حزه أمر أو هجم عليه شأن أن يختار من أصحابه أهل العلم والخبرة ، والألصق بموضوع الشورى و الأعراف بتفاصيله .  
ولما انتشرت قصة الإفك بين الناس في المدينة ، وهلك فيها من هلك استشار النبي أصحابه ليستمع إلى آرائهم في الموضوع ، واختار لمشورتهم رجلين وامرأتين من أصحابه المقربين من بيت النبوة الكريمة .

أما الرجلان فهما : أولا : ختنه وابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ الذي قال له : (( يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك )) ، وهو يشير بقوله هذا أن يفارق رسول الله ﷺ أهله ويستريح من الشكوك والقييل والقال ، ولكن بلهجة ذكية ، لم يخف كنهها على عائشة رضي الله عنها ، ولقد وجدت عائشة من قوله موجدة عظيمة ، ولم ينسها له .

ولأهل العلم تأويل لكلام علي ﷺ ، حيث قالوا : (( الذي قاله علي هو الصواب في حقه ﷺ لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده ، ولم يكن ذلك في نفس

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 159

<sup>2</sup> سورة الشورى الآية 38

الأمر ، لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه ، فأراد راحة خاطره ، وكان ذلك أهم (من غيره) <sup>1</sup>

والرجل الثاني : حبه وابن حبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي قال له : (( أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا )) ، وهو بهذا ينصح رسول الله ﷺ بأن يمسك بأهله ، فإن هذه مجرد شائعة لا غير ، وما يعرفه من طهارة أهله وشرفهم أكبر من أن يتزعزع بسبب شائعة لا أساس لها من الصحة .

وأما المرأتان فهما ، الأولى : بريرة مولاة عائشة وصديقتها في البيت وكانت عارفة بها ، وقالت لرسول الله لما سألها : (( والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه ، غير أنها جارية حديثة السن تنام على عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله )) ، فأكدت لرسول الله أن زوجها من المحصنات الغافلات البريئات مما رمين بها من الفاحشة .

و الثانية هي : زينب بنت جحش رضي الله عنها إحدى أمهات المؤمنين ، وهي من كانت تسامي عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ، وغالبا ما يحمل الحسد مثلها على الظلم والشهادة بالزور ، ولكنها رضي الله عنها كانت أروع وأعف لسانا من أن تفتري على أختها ما ليس لها به علم .

وبعد أن استمع النبي ﷺ إلى مستشاريه وتأمل في أقوالهم وشهاداتهم عزم أمره وتوكل على الله ، واتخذ موقفه الشخصي في هذا الأمر الخطير ، ألا وهو اعتقاد براءة أهله من كل ما رمي بها من الفاحشة ، إذ ليس عند الخائضين في الإفك بينة تثبت دعواهم

<sup>1</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 17 / 108 )

الكاذبة ، ولا قرينة تدل على تلبث المتهمين بشيء من التهمة ، وليس في سيرتهما ما يقدح في عدالتهما ، أما عائشة فقال عنها النبي ﷺ : (( والله ما علمت على أهلي إلا خيرا )) ، وأما صفوان فشهد له بمثل ذلك فقال : (( ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما يدخل على أهلي إلا معي )) .

لم تكن الشورى في حادثة الإفك من حاجة رسول الله ﷺ فقط ، بل كانت عائشة رضي الله عنها في أمس الحاجة إلى من تستمع إليه وتأخذ برأيه في مصيبتها ، ولم يكن ذلك غير رسول الله ﷺ لولا ما أحست به عائشة من نوع تغير عند رسول الله ﷺ في تعامله معها ، لحد الامتناع من ذكر اسمها ونداءها بقوله ( تيكم ) ، ولما كان الأمر بهذه الوتيرة استأذنت رسول الله ﷺ أن تذهب إلى أبويها لتستوثق منهما وتستشيرهما فيما تأتي أو تذر ، وكان أقربهما إليها أمها التي حاولت أن تخفف عنها وتلهيها قليلا بإرجاع الأمر إلى أسبابها الطبيعية فقالت لها : (( يا بنية هوني عليك ، فوالله قل ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها )) ، وهذا الكلام وإن صدر من قلب حنون لم يكن لها في نفس عائشة كبير أثر ، فاستمرت في بكائها وأرقها .

### الدرس السادس : خوض بعض الصالحين في الشائعات .

بعض أهل الصلاح قد يقعون ضحايا الشائعات المنتشرة في المجتمع ، وذلك لاستعجالهم وغفلتهم عن المنهاج الشرعي في التعامل مع الأخبار ، فيصدقون الأكاذيب المروجة ، ويصيبون أقواما في أديانهم وأعراضهم بغير حق كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }<sup>1</sup> .

وومن خاض من الصحابة في الإفك مع الخائضين حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثه ، وحمنة بنت جحش رضي الله عنهم أجمعين ، حدهم رسول الله ﷺ بجلدهم ثمانين جلدة ، قال ابن القيم رحمه الله : (( ولما جاء الوحي ببراءة عائشة رضي الله عنها أمر رسول الله ﷺ بمن صرح في الإفك فحدوا ثمانين ثمانين ... ))<sup>2</sup> .

أما الذي تولى كبر الفرية العظيمة والإفك الميين فهو عبد الله بن أبي بن سلول ، ((وبذلك تظاهرت الروايات عن عائشة رضي الله عنها وهي صاحبة القصة ، فقد بوب البخاري بقوله : باب قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }<sup>3</sup> ثم ساق بسنده : حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها { وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ } قالت : عبد الله بن أبي سلول ، وعنده أيضا من رواية صالح بن كيسان عن الزهري : وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول ))<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> سورة الحجرات الآية 6

<sup>2</sup> زاد المعاد ( 3 / 229 )

<sup>3</sup> سورة النور الآية 11

<sup>4</sup> مرويات غزوة بني المصطلق ص 228

(( وأما ذكر بعض الروايات لحمنة وحسان ومسطح مع عبد الله بن أبي بن سلول فيفسر ذلك على أنهم من باب التبعية ، لا أنهم تولوا كبر الإفك أصالة ، وإنما الذي تولاه هو ابن أبي بن سلول المنافق ، لكنهم حين قالوا بقلته ذكروا معه تبعا ... ))<sup>1</sup> .

وكان موقف هؤلاء الثلاثة من أصحاب الرسول ﷺ استثناء من حال غيرهم من أهل الإيمان الذين ذكر الله موقفهم من الإفك في قوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ }<sup>2</sup> .

### الدرس السابع : عفة لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسلامة قلبها .

من أعظم ما يلفت نظر المتتبع لتفاصيل قصة الإفك ، عفة لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسلامة قلبها للمسلمين ، فهي في حكايتها لما عانتها من قصة الإفك لم تسب أحدا من الخائضين فيها ، ولم تدع على أحد منهم ، ولم تنس لذي فضل سابق فضله .

فلم تكن تتجاوز في وصف الخائضين في الإفك على قولها (( هلك من هلك )) كما قالت عن عبد الله بن أبي بن سلول وغيره .

ولما ذكرت موقف حمنة بينت دافعها الأساس ومورطها الأول وهو منزلة أختها زينب بنت جحش التي كانت أفضل منها حالا ، حيث حفظها الورع من الخوض في الإفك وشهادة الزور .

<sup>1</sup> مرويات غزوة بني المصطلق ص 234

<sup>2</sup> سورة النور الآية 12



ولما أرادت أم رومان أن توسع دائرة الاتهامات لتشمل أمهات المؤمنين اللائي لم يؤثر عنهن في الحادثة شيء أعرضت عنها عائشة ، ولم تعلق على كلامها لمعرفة ما جالهن ، بل لجأت مرة أخرى إلى البكاء .

وإذا كان هناك من موقف سلبي لها يذكر ، فهو الذي كان لها من علي الذي أشار إلى رسول الله ﷺ بفراقها ، ومع ذلك فقد روي عنها قولها في وصف موقف علي رضي الله عنهما (( إن عليا أساء في شأنني ، والله يغفر له ))<sup>1</sup> .

### الدرس الثامن : موقف أبي بكر وأهله من حادثة الإفك والخائضين فيها .

من أهم مواقف المسلمين من حادثة الإفك موقف أبوي عائشة رضي الله عنهم ، أبي بكر الصديق وزوجه أم رومان ، فلقد كانا متحلين بالهدوء وضبط النفس في التعامل مع مصيبة ابنتهما الصغيرة ، فقد سمعنا قبل قليل كلام أم رومان في مشورتها لعائشة وهي لم تتجاوز أن حاولت شرح أسباب المشكلة وبيان أبعادها الاجتماعية ، ولما جاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ليكلم عائشة ، فطلب من أبويها أن يجييا رسول الله ﷺ هاباه ولم يجدا ما يقولانه .

وأما التعامل مع أطراف القضية الآخرين فقد ظهر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه تحيزا واضحا إلى ابنته وزوج صديقه وحبيبه ﷺ ، فقد غضب على مسطح وأقسم أن يقطع عنه نفقة كان يؤديها له ، لوما نزل قوله تعالى : { وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ

<sup>1</sup> فتح الباري ( 7 / 437 )

يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ {<sup>1</sup> ، فرجع عن قوله و عفا عن مسطح وأعاد له النفقة .

فيا له من مواقف متزنة وحكيمة من أبوي عائشة رضي الله عنهم ، ففيها دروس بليغة للآباء في تعاملهم مع أصهارهم ليعرفوا أن المشاكل الأسرية لا تحل بالكبرياء والعصبية ، ولا بالاتهامات المتبادلة ، بل بحسن النوايا والاحترام المتبادل ، والتأني وعدم العجلة .

**الدرس التاسع : براءة عائشة رضي الله عنها .**

المحصلة النهائية في قصة الإفك المؤلمة هي طهارة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رمي بها من الفاحشة ، وقد دل على براءتها الكتاب والسنة والإجماع .

أما دلالة الكتاب على براءتها فهي من أوجه منها :

### الوجه الأول : تسمية الحادثة إفكا :

قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ }<sup>2</sup> ( والإفك أسوأ الكذب ، لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل ، تقول العرب : أفكه بمعنى قلبه ، ومنه قوله تعالى في قوم لوط { وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ }<sup>3</sup> وقوله { وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَهْوَى }<sup>4</sup> وإنما قيل لها مؤتفكات لأن الملك أفكها أي قلبها ... )<sup>5</sup> ، وفي تسمية الحادث بالإفك

<sup>1</sup> سورة النور الآية 22

<sup>2</sup> سورة النور الآية 11

<sup>3</sup> سورة التوبة الآية 70

<sup>4</sup> سورة النجم الآية 53

<sup>5</sup> أضواء البيان ( 6 / 15 )

تكذيب صريح لمختلقيه ، وبيان لقلبهم الحقائق عن وجهها حيث وصفوا الطاهرة المطهرة بالفاحشة والمنكر .

**الوجه الثاني : وصفها بأنها بهتان عظيم .**

قال تعالى : { **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** } <sup>1</sup> ، (( قال أبو إسحاق : البهتان الباطل الذي يتحير من بطلانه ، وهو من البهت : التحير ، والألف والنون زائدتان )) <sup>2</sup> ، ولا شك أن حادثة الإفك حير أولي الألباب وأعقل العقلاء لغرابتها ولبعد وقوعها ، ولكن الخبيث ابن أبي حاول أن يروجها بين الناس قليلا قليلا حتى صدقه بعض الناس ومنهم بعض الصالحين ، وذلك لتفننه في نسج الأباطيل واختلاق الأكاذيب ، دأب المنافقين في كل زمان ومكان .

**أما دلالة السنة على براءة عائشة فمن أوجه منها :**

**الوجه الأول : تصريح النبي ﷺ ببراءة عائشة .**

فكان أول كلمة قالها رسول الله لما نزل عليه الوحي وهو في بيت أبي بكر رضي الله عنه : (( يا عائشة أما الله فقد برأك )) ، وكان قبل ذلك زكاهها في ملاء من أصحابه بقوله : (( والله ما علمت على أهلي إلا خيرا )) ، وكل ذلك من شهادة النبي ﷺ على براءة أهله ، وكفى به شاهدا .

<sup>1</sup> سورة النور الآية 16

<sup>2</sup> لسان العرب ( 2 / 13 )

## الوجه الثاني : إقامة حد القذف على الخائضين في حادثة الإفك .

لما نزل القرآن ببراءة عائشة أقام رسول الله ﷺ حد القذف على مسطح ، وحسان ، و حمنة ، عملا بقوله تعالى { وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }<sup>1</sup> .

تلك بعض الفوائد المستفادة من قصة الإفك سيقت على عجل ، وغيرها كثير .

## المظهر الثامن: استشارة النبي ﷺ أزواجه في قضايا الأمة المصرية .

تألم المسلمون من صد المشركين رسول الله ﷺ عن عمرة الحديبية ومما صالح عليه رسول الله قريشا ، ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد بشرهم بدخول مكة كما في قوله تعالى : { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا }<sup>2</sup> ، حيث ظنوا بأن ذلك الوعد سيتحقق هذه السنة ، أما الصلح فلم تظهر لهم ما فيه من مصالح للمسلمين لأول الوهلة .

ولذلك لما فرغ النبي ﷺ من عقد الصلح مع قريش وعزم على الرجوع إلى مكة ، وأمر صحابته قائلا : (( قوموا فانحروا ، ثم احلقوا ... )) حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة ، حتى تنحر بدنك ، وتدعوا

<sup>1</sup> سورة النور الآية 4

<sup>2</sup> سورة الفتح الآية 27

حالكك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم منهم أحدا حتى فعل ذلك : نحر بدنه ، ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك ، قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يخلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا )) .

وفي القصة استشارة النبي ﷺ نساءه في القضايا المصيرية التي تهم الأمة ، ولم يقل بأن لا دخل للمرأة في طريقة سياسة الأمة وتدير شؤونها (( فلا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة ما دامت مشورة صائبة ، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها ، وتجاهل وجودها ، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ، ويعمل النبي بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبته ))<sup>1</sup> .

### المظهر التاسع : توفير النبي ﷺ اللعب والراحة لأزواجه .

كان من أمهات المؤمنين من دخلت بيت النبوة وهي ما زالت صغيرة مهتمة باللعب ومولعة بالترويح ، حاملة إليها دماها وأفراسها المصنوعة ، وكان رسول الله ﷺ يلي حاجه أهله الفطرية في اللعب والترويح ، ويشاركهن فيما يناسبه من ذلك ، ليدخل السرور عليهن ، ويسن للأزواج من أمته شريعة سمحة في فن التحبب إلى نسائهم .

ومما أثر عنه ﷺ في هذا الباب :

<sup>1</sup> السيرة النبوية لعلي الصلاحي منقولا ( 2 / 307 ، 308 )

## 1- مسابقة عائشة رضي الله عنها .

(( عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ وأنا خفيفة اللحم ، فنلنا منزلا ، فقال لأصحابه : تقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ! فسابقني فسبقته ، ثم خرجت معه في سفر آخر ، وقد حملت اللحم ، فنزلنا منزلا ، فقال لأصحابه تقدموا ، ثم قال لي : تعالي أسابقك ! فسابقني فسبقني ، فضرب بيده كتفي ، وقال : هذه بتلك ))<sup>1</sup> .

ومن هداية الحديث تواضعه ﷺ فهو أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين ومع ذلك يتواضع للناس ليؤلف ويألف ، وخاصة في تعامله مع أزواجه ، ومنها جواز مسابقة الرجل نسائه ولو كان من ذوي الجاه والهيبة كأهل العلم والفضل ، فإن ذلك لا تعد من خوارم المروءة إذا حصل بشروطه وآدابه .

## 2- حمل عائشة رضي الله عنها ليشاهد لعب الأحباش في المسجد .

(( عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون بجراهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي ، حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو ))<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> أحمد/6 39/ سنن أبي داود ( 29 / 3 ) السنن الكبرى للنسائي ( 5 / 304 ) انظر صحيح الجامع: 7007

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 1 / 173 ) ، صحيح مسلم ( 2 / 609 ) واللفظ له

ومن فوائد الحديث (( جواز النظر إلى اللهو المباح ، وفيه حسن خلقه ﷺ مع أهله ، وكرم معاشرته ، وفضل عائشة وعظيم محلها عنده ))<sup>1</sup>.

وفي قولها رضي الله عنها : (( فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو )) إرشاد للأزواج إلى تفهم حاجة أمثالها إلى اللعب والترويح وعدم الغضب عن ذلك لما فيه من الكبت والحرمان لهن .

### 3- إقرار عائشة رضي الله عنها على اللعب بالبنات ونحوها في بيته ﷺ .

(( عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب ، فقال : (( ما هذا يا عائشة ؟ )) قالت : بناقي ، ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع ، فقال : (( ما هذا الذي وسطهن ؟ )) قالت : فرس ، قال : (( وما هذا الذي عليه ؟ )) قالت : جناحان )) قال : (( فرس له جناحان ! )) قالت : (( أما سمعت أن لسليمان خيلا له أجنحة ، قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه ))<sup>2</sup> .

وفي الحديث دليل على (( جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن ، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور ، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور ))<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فتح الباري ( 1 / 549 )

<sup>2</sup> سنن أبي داود ( 4 / 283 ) صححه الألباني في المشكاة: 3265

<sup>3</sup> عون المعبود ( 13 / 191 )

**المظهر العاشر : استئذان النبي ﷺ أزواجه في إثارة بعضهن بما هو حق للجميع .**  
مقتضى العدل بين النساء في القسم بينهن في المبيت أن يساوى بينهن في ذلك في حالة الشدة والرخاء والعسر واليسر والصحة والمرض ، وللزوج أن يستأذن أهله في مخالفة ذلك لعذر مقبول .

لذلك لما مرض النبي ﷺ المرض الذي قبض فيه وثقل جسمه وشق عليه التنقل بين حجرات أهله أستأذنه أن يمرض في بين عائشة رضي الله عنها ، فأذن له ، (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل النبي ﷺ واشتد به وجعه ، استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج النبي ﷺ بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس ورجل آخر... ))<sup>1</sup> .

ومن فوائد الحديث : ذكر ما كان عليه النبي ﷺ من محبة العدل بين نسائه حتى في أضيق الحالات وأصعب الظروف ، ولما شق عليه توزيع المبيت عليهن والإقامة طلب منهن أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فتفهن لحاله ﷺ فأذن له .

وبعجالة خاطفة أشير هنا إلى بعض ما كان عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من المزايا والفضائل التي رشحها لهذه الخاصية ، وبدون أن نتكلف البحث عن تلك المزايا والفضائل ، فإن من أبرزها عنايتها وحبها لرسول الله وفهمها عن رسول الله ﷺ ما يجب أو يميل إليه ولو لم يتكلم به ، (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقني

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 1 / 83 ) ، صحيح مسلم ( 1 / 312 )



وريقه عند موته ، دخل علي عبد الرحمن ويده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيتَه ينظر إليه ، وعرفت أنه يجب السواك ، فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت أئينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته بأمره (...)) الحديث <sup>1</sup> .

وفي الحديث أيضا كما قال النووي : (( فضيلة عائشة رضي الله عنها ورجحانها على جميع أزواجه الموجودات ذلك الوقت ، وكن تسعا ، إحداهن عائشة رضي الله عنها ، ولا خلاف في هذا بين العلماء ، وإنما اختلفوا في عائشة و خديجة رضي الله عنهما )) <sup>2</sup> .

**المظهر الحادي عشر : وفاء النبي ﷺ بعهد أزواجه .**

كان رسول الله ﷺ وفيما لعهد أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، ومهتما بأموهن في حياتهن وبعد مماتهن ، يذكر جميلهن ، ويحسن إلى معارفهن وأقاربهن (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة ، وإني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوما فقلت : خديجة ! فقال رسول الله ﷺ : إني قد رزقت حبها )) <sup>3</sup> .

قال ابن حجر رحمه الله (( وفيه دليل على عظم قدرها عنده ، وعلى مزيد فضلها ، لأنه أغنت عن غيرها ، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين ، لأنه ﷺ عاش بعد

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 4 / 1616 )

<sup>2</sup> شرح صحيح مسلم ( 4 / 139 )

<sup>3</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1888 )

أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما ، وهي نحو الثلثين من المجموع ، ومع طول المدة فسان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك ، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها ، ومما اختلفت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان ، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها ، فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن (( من سن سنة حسنة ... )) وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق

بالنسبة إلى الرجال ، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل ))<sup>1</sup> .

نعم أنها الأخلاق السامية والفضائل العظيمة حين تصنع من الناس قدوات ظاهرة في كل مجالات الحياة ، فيبقى في الناس ذكرهم ولو غابت عن الدنيا ذواتهم ، و تلهج الألسنة دوما بمعروفهم ، وتحقق القلوب بمحبتهم ، وتتحدث الأجيال عن مزاياهم جيلا بعد جيل.

قال النووي رحمه : (( في هذا دليل لحسن العهد ، وحفظ الود ، ورعاية حرمة الصاحب و العشير في حياته ووفاته ، وإكرام أهل ذلك الصاحب ))<sup>2</sup> .

وعن عائشة رضي الله عنها أيضا قالت : (( استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : (( اللهم هالة )) ،

<sup>1</sup> فتح الباري ( 7 / 137 )

<sup>2</sup> شرح صحيح مسلم ( 15 / 202 )

قالت : فغرت فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيرا منها ))<sup>1</sup> ، وقوله (( اللهم هالة )) : (( فيه حذف تقديره اجعلها هالة ، فعلى هذا فهو منصوب ، ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي : هذه هالة ، وعلى هذا هو مرفوع .

وفي الحديث (( من أحب شيئا أحب محبوباته ، وما يشبهه وما يتعلق به ))<sup>2</sup> . هذا ، ولم يكن وفاء النبي بعهد أزواجه خاصا بخديجة رضي الله عنها بل كان يشملهن جميعا ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (( كان رسول الله ﷺ يقول لي : (( إن أمركن مما يهمني بعدي ، لن يصبر عليكن إلا الصابرون ))<sup>3</sup> .

ولعل من أسباب اهتمام النبي ﷺ بأمر أزواجه من بعده أنه تركهن بدون ميراث من مال ونحوه ، وقد خيرهن بين الدنيا ومتاعها ، وبين الآخرة وما عند الله تعالى من الرضوان الأكبر وجزيل الثواب ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن وأرضاهن جميعا.

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 3 / 1389 )

<sup>2</sup> فتح الباري ( 7 / 140 )

<sup>3</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 3 / 352 )

## المبحث الثالث : هديه ﷺ في التعامل مع أولاده .

يعتبر التعامل مع الأولاد من أبرز أخلاقيات التعامل الأسري لأن الأولاد على اختلافهم في الجنس والسن ، وكونهم في بعض الأحيان من أمهات شتى ، يعدون من أهم العناصر في الأسرة ، ولا بد في التعامل معهم من التحلي بالأخلاق الاجتماعية والأحاسيس الإنسانية والعواطف الأبوية .

وقد كان النبي ﷺ خير أب لأولاده وأرحم رجل لعياله (( عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيت رجلا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان إبراهيم مسترضعا في عوالي المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه ليدجن ، وكان ظئره قينا ، فيأخذه فيقبله ثم يرجع ))<sup>1</sup>

وهدي النبي في تعامله مع أولاده يعكس جانبا آخر من كماله ، ويبرز وجها لطيفا من مكارم أخلاقه ، وفي المطالب الآتية نشاهد حلقات من سيرة الأب الرحيم والجد الحنون محمد ﷺ .

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1808 )

## المطلب الأول: الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونعمة الاولاد والذرية .

إن من أجل النعم الإلهية والمنن الربانية التي حبا الله بها البشر الأولاد والذرية قال تعالى :  
 { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } <sup>1</sup> .

قال السعدي رحمه الله : (( يخبر تعالى عن مننه العظيمة على عباده حيث جعل لهم  
 أزواجا ليسكنوا إليها ، وجعل لهم من أزواجهم أولادا تفر بهم عيونهم ويخدمونهم ويقضون  
 حوائجهم ، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة )) <sup>2</sup> .

وقد من الله على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بنعمة الأولاد والذرية ، قال  
 تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ  
 بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } <sup>3</sup> .

وهناك حكم وأسرار لجعل الله لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام أزواجا وذرية ومنها  
 ما يلي :

### 1- التأكيد على بشريتهم عليهم الصلاة والسلام .

وذلك سدا لذريعة تأليههم والعلو في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، كما وقع بنو  
 إسرائيل في تأليه أنبيائهم واعتقادهم فيهم ما يخرجهم من دائرة البشرية قال تعالى :  
 { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ... } <sup>1</sup> .

<sup>1</sup> سورة النحل الآية 72

<sup>2</sup> تيسير الكريم الرحان ص 444

<sup>3</sup> سورة الرعد الآية 38

(( ومما لاشك فيه أن الأنبياء هم أوعى البشر بحقيقة الألوهية ، ومعرفة استحقاق الإله وحده للعبادة ، وذلك بما اختصهم الله من علم الوحي الإلهي ، فالتمييز عندهم واضح بين ما هو حق لله وحق للنبي ؛ لذا نفى القرآن الكريم أن يوجهوا الناس إلى عبادتهم بدلا من عبادة الله قال تعالى : { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُبَشِّرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ }<sup>2</sup> .

والبشرية بلوازمها وآثارها مناقضة للألوهية والربوبية ، كما قال تعالى : { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }<sup>3</sup> .

## 2- دفع توهم النقص في حقهم عليهم الصلاة والسلام .

فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام منزهون من أي نقص يعيرون به ، حتى لا يؤدي ذلك إلى تحقيرهم ونبذهم من قبل من أرسل إليهم ، ولذلك لما تأخر نسل خديجة من رسول ﷺ سارع الكفار إلى تعييره فقالوا هو أبتز فأنزل الله سورة الكوثر : { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> سورة التوبة الآية 30

<sup>2</sup> سورة آل عمران الآية 79

<sup>3</sup> سورة مريم الآية 35

<sup>4</sup> سورة الكوثر .

(( عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ولدت خديجة من رسول الله ﷺ عبد الله بن محمد ، ثم أبطأ عليه الولد من بعده ، فبينما رسول الله ﷺ يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر إذ قال له رجل من هذا ؟ فقال هذا الأبر ) )<sup>1</sup> .

### 3- مساعدتهم - عليهم الصلاة و السلام - على نواب الحياة ومهمات الرسالة .

الأولاد و الذرية الصالحة عون للإنسان في الدين والدنيا ، فقد كان سليمان بن داود نبيا هو و أبوه عليهما الصلاة والسلام ، يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ، ويحكمان بينهم بالحق ، قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ }<sup>2</sup> ، وقال عز وجل : { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }<sup>3</sup> .

و كان إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام سندا لأبيهم عند الشدائد وعونا لهم في المجاعات قال تعالى : { فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ }<sup>4</sup>

<sup>1</sup> السيرة النبوية لابن كثير ( 4 / 607 )

<sup>2</sup> سورة المل الآيات 15 ، 16

<sup>3</sup> سورة الأنبياء الآيات 78 ، 79

<sup>4</sup> سورة يوسف الآية 88

#### 4- بيان ما يتعلق بالأولاد والذرية من أحكام الشريعة .

إنه لحكمة بالغة أن يهب الله لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام أولادا وذرية فيعيشوا معهم في أسرة واحدة ، ويربهم على الإيمان والطاعة ويغرسوا فيهم الفضائل ، وقد قص الله تعالى علينا صورا من دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأولادهم وذريتهم .

قال تعالى في دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لابنه إلى الإيمان وترك مصاحبة الكفار واتباعهم : { وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ }<sup>1</sup> .

وقال تعالى في توصية إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنيه بالتوحيد : { وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }<sup>2</sup> .  
وقال تعالى في أمر إسماعيل عليه الصلاة والسلام أهله بعبادة الله وملازمة طاعته : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا }<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> سورة هود الآيات 42، 43

<sup>2</sup> سورة البقرة الآية 132

<sup>3</sup> سورة مريم الآيات 54 ، 55



ولما نزل قوله تعالى : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } <sup>1</sup> ، دعا رسول الله ﷺ ابنته فاطمة وقال لها : (( يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً ، إلا أن لكم رحماً سأبلها ببلها )) <sup>2</sup> .

قالت السيدة عائشة بنت الشاطئ رحمها الله تعالى : (( وقد كان محمد النبي ﷺ القدوة الصالحة للمؤمنين والمثل الأعلى فيهم ، فرأى المسلمون من أفعاله وسمعوا من أحاديثه ما لمس أعمق مشاعر الأبوة فيهم ، واستثار أنبل ما في نفوسهم التي جبلت على توقير الآباء ورعاية الأبناء )) <sup>3</sup> .

والمقلب لصفحات السيرة النبوية والناظر في دواوين السنة يرى من هدي النبي ﷺ في التعامل مع الأولاد ما يبهر العقول ويأخذ الألباب.

### 5- إسعادهم - عليهم الصلاة والسلام - بنعمة الأولاد والذرية .

إن من أعظم ملذات الحياة وأبهج زينتها المال والبنون ، قال تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً } <sup>4</sup> .

وقد متع الله أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - بنعمة المال والبنين ، وأسعدهم بها . كان مما جاءت به الملائكة من البشرى إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - نعمة الأولاد قال تعالى : { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

<sup>1</sup> سورة الشعراء الآية 214

<sup>2</sup> السيرة النبوية لابن كثير ( 1 / 456 )

<sup>3</sup> تراجم سيدات بيت النبوة ص 438

<sup>4</sup> سورة الكهف الآية 46

يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا  
أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ { 1 .

وما حزن يعقوب الشديد على ابنه يوسف - عليهما الصلاة والسلام - إلا مظهرًا من  
مظاهر حبه له وتعلق قلبه به كما في قوله تعالى : { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى  
يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } 2 .

وسأل زكريا - عليه الصلاة و السلام - ربه ولدا صالحا يرثه من بعده ، قال تعالى :  
{ كَهَيْعِصَ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ  
مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ  
امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا } 3 .

(( وقد ظل محمد ﷺ حتى أخريات عمره يشفق الولد ويتلمس الوسيلة إليه ، حتى إذا  
وهبه الله على الكبر غلاما ، وامتلأت نفسه الكبيرة غبطة وهناءة وفرحا، لولا أن الله لم  
يمهل إبراهيم غير ثمانية عشر شهرا ثم قبضه إليه ، فحزن الأب الثاقل لفقدته أشد الحزن،  
ولم يكتف ألمه ولم يملك دموعه... )) 4 .

<sup>1</sup> سورة هود الآيات 71 ، 72 ، 73 ،

<sup>2</sup> سورة يوسف الآية 84

<sup>3</sup> سورة مريم الآيات 1 \_ 6

<sup>4</sup> تراجم سيدات بيت النبوية ص 486

## المطلب الثاني : هدي النبي ﷺ في التعامل مع اولاده .

(( كان محمد النبي ﷺ القدوة الصالحة للمؤمنين والمثل الأعلى فيهم، فرأى المسلمون من أفعاله وسمعوا من أحاديثه ما لمس أعرق مشاعر الأبوة فيهم ، واستثار أنبل ما في نفوسهم التي جبلت على توفير الآباء ورعاية الأبناء ))<sup>1</sup>.

نعم أنها جانب من السنة النبوية يمكن أن نطلق عليه السنة الاجتماعية ، نجد كتب السيرة والشمائل حافلة بها لأهميتها وحاجة الناس إلى معرفتها و الاقتداء بها ، وفيما يلي صور من تعامله ﷺ مع أولاده .

### 1- محبته لأولاده ﷺ .

مما يلفت نظر القارئ في سيرة النبي ﷺ مع أولاده تلك المحبة العظيمة التي كان يجدها أولاده جميعا بلا استثناء ، ولم يكن يفرق بين البنين منهم والبنات ، رغم عيشه في مجتمع كان لا تعطي للبنات أي حق ، و لا تعرف لهن أي منزلة .

وقد تحدث القرآن الكريم عن عادات العرب في زمن الجاهلية ، فقال تعالى : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }<sup>2</sup> ، ولا شك أن هذا الموقف من البنات معارضة صريحة للحكمة الإلهية والمشية الربانية ، قال تعالى : { لِلَّهِ

<sup>1</sup> تراجم سيدات بيت النبوة ص 438

<sup>2</sup> سورة النحل الآيتان 58 ، 59

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَانًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَانًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }<sup>1</sup> .

قال ابن القيم رحمه الله : (( فقسم الله سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود ، وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبهما إياه ، وكفى بالعبد تعرضا لمقته أن يتسخط ما وهبه ، وبدأ سبحانه بذكر الإناث ، فقيل : جبرا لمن لأجل استئصال الوالدين لمكانهن ، وقيل و هو أحسن : إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاء الأبوان ، فإن الأبوين لا يريدون إلا الذكور غالبا ، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء ، فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء ولا يريده الأبوان .

وعندي وجه آخر - والكلام لابن القيم - وهو أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهن ، أي هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندي في الذكر ، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث ، وعرف الذكور ، فحبر نقص الأنوثة بالتقديم ، وجبر نقص التأخير بالتعريف ، فإن التعريف تنويه كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ، ثم لما ذكر الصنفين معا قدم الذكور إعطاء لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير والله أعلم بما أراد من ذلك ))<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> سورة الشورى الآية 49 ، 50 ،

<sup>2</sup> تحفة المودود بأحكام المولود ص 20

وقالت عائشة بنت شاطئ رحمها الله منوهة بتكريم رسالة النبي ﷺ للمرأة : (( وكانت أبوته لبنات أربع قدوة صالحة للمؤمنين برسالته التي أعزت الأنوثة ، وقررت لها من الحقوق ما لا تطمح إلى مثله نساء العصر الحديث ))<sup>1</sup> .

وما اشتهر من حب رسول الله ﷺ لبناته وخاصة أصغرهن فاطمة رضي الله عنها ، خير شاهد على هذا التكريم والتنويه بالنساء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (( كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ شيئا ، فلما رآها رحب بها فقال : (( مرحبا بابنتي )) ثم أجلسها يمينه أو عن شماله ، ثم سارها فبكت بكاء شديدا ، فلما جزعها ، سارها الثانية فضحكت ، فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ بين نسائه بالسرار ، ثم أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره ، قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ قلت : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثني ما قال لك رسول الله ﷺ ، فقالت : أما الآن فنعم ، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين ، وأنه عارضه الآن مرتين ، وإني لا أرى الأجل إلا اقترب فاتقي الله واصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت ، فلما رأى جزعي سارني الثانية ، فقال :

<sup>1</sup> تراجم سيدات بيت النبوة ص 487

(( يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة )) قالت : فضحكت ضحكي الذي رأيت ))<sup>1</sup> .

ومن فوائد الحديث : ترحيب النبي بها وإفصاحه لها في مجلس نسائه ، و إجلاسها عن يمينه لإكرامها ، وفيه أيضا علامة من علامات محبة النبي ﷺ لبنته فاطمة الزهراء حيث خصها بأن سارها بين نسائه بهذه البشارة العظيمة .

ومن مظاهر محبته ﷺ لأولاده الفرح والسرور بولادتهم ، فقد كان النبي ﷺ يفرح أشد الفرح ويسر سرورا عظيما بما يرزقه الله تعالى من الأولاد ، ولما ولد إبراهيم جاء إليه أبو رافع فبشره ، فوهب له رسول الله ﷺ عبدا .<sup>2</sup>

قال ابن القيم رحمه الله : (( وفي قصة مارية وإبراهيم أنواع من السنن )) وذكر منها : (( البشارة لمن ولد له مولود بولده ، استحباب إعطاء البشير بشراه ))<sup>3</sup> .

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبر أصحابه رضي الله عنهم بضيغه الكريم الذي حل في بيته الشريف ، (( عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم ))<sup>4</sup> .

ومن فضائل خديجة رضي الله عنها على أكثر نساء رسول الله ﷺ ما أنجبت لرسول الله ﷺ من الولد ، وقد عد ذلك رسول الله ﷺ من مزاياها ، فقال ﷺ (( قد آمنت بي إذ

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1904 )

<sup>2</sup> الطبقات الكبرى ( 1 / 135 )

<sup>3</sup> تحفة المودود ص 105

<sup>4</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1807 )

كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبي الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء ))<sup>1</sup> .

ومن أمارات فرح رسول الله ﷺ وسروره بنعمة الأولاد شكر الله تعالى بعق الولد بأن يذبح عن الذكر شاتين ، وعن الأنثى شاة واحدة ، قال ابن الحاج رحمه الله تعالى : ( وكان لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ، ويأمر بخلق رأسه يوم السابع ، وأن يتصدق عنه بزنة شعره فضة )<sup>2</sup> .

ومع كل هذا الحب للولد ومن تلد له من النساء فإنه ﷺ لم يعير أحدا من نسائه بأنه لم تلد له ، ولم ينقص ذلك من محبتهم شيئا ، ولا من حقوقهن الزوجية الأخرى ، وذلك من كمال إيمانه بقضاء الله وقدره وحسن خلقه وعشرته لنسائه .

فكثير من الرجال إذا ابتلوا بعقم أزواجهم أو تأخر إنجابهم للأولاد تسخطوا من ذلك ، وآذوا نساهم بالقول والفعل ، وربما فرطوا في كثير من حقوقهن ، وهذا ينافي كمال الإيمان بالله تعالى ، فإن العقم أو تأخر الإنجاب من قضاء الله وقدره كما قال تعالى في محكم تنزيله { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }<sup>3</sup> ، ويدل ذلك التصرف أيضا على سوء الأخلاق والعشرة ، فإن الحياة مليئة بالابتلاءات ، ويجب

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد ( 6 / 117 )

<sup>2</sup> المدخل لابن الحاج ( 3 / 225 )

<sup>3</sup> سورة الشورى الآية 49 ، 50

على المسلم أن يتحلى بالإيمان بالقضاء والقدر ، وبالصبر على المصائب ، ثم الأخذ بما تيسرت من الأسباب لدفع و إزالة تلك المصائب .

## 2- رحمته لأولاده ﷺ .

من أوصاف النبي ﷺ ونعوته المتواترة رحمته العظيمة وقلبه الكبير ، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} <sup>1</sup> فكان ﷺ يتأثر بكل ما يصيب المؤمنين من الأذى أو تحل بهم من المصائب ، سواء كان في دينهم أو دنياهم ، وكانت رحمته ﷺ بأولاده على وجه الخصوص من أشهر أنواع رحماته العظيمة .

قالت السيدة عائشة بنت شاطئ رحمها الله : (( ولم تنزع الرسالة من قلبه عواطف البشر ولا جردته من وجدانهم ، ولا عصمتهم مما يجوز عليهم ، فيما عدا ما يتصل بالنبوة، فهو كما قال جل جلاله : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} <sup>2</sup> ، ويسكن إلى زوجته، ويشغل بالأولاد ، ويعاني مثل الذي يعاني بنو آدم من حب وكره ، ورغبة وزهد ، وخوف وأمل ، وحنين واشتياق )) <sup>3</sup> .

وهناك حوادث كثير ومناسبات مختلفة واجهت النبي ﷺ من أولاده فأحزنت قلبه وأدمعت عيناه ، ومن تلك الحوادث والمناسبات ما يلي :

<sup>1</sup> سورة التوبة الآية 128

<sup>2</sup> سورة الكهف الآية 110

<sup>3</sup> تراجم سيدات بيت النبوة ص 198



## - تقبيله لأولاده ﷺ رحمة بهم .

وكان ﷺ يقبل أولاده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنه وعنده الأقرع بن حابس جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم ))<sup>1</sup> .

## - قصة أسر أبي العاص زوج ابنته زينب :

(( أبو العاص هو ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي العبشمي ، زوج بنته زينب رضي الله عنهما ، ووالد أمانة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلته ، أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر ))<sup>2</sup> .

تأخر إسلامه وكان ممن خرج مع قريش لقتال رسول الله ﷺ فأسر مع من أسر ، ولما سمعت زينب بأسرها بعثت في فدائه بمال فيه قلادة لها ، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة ، وقال : (( إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا )) ، فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوا أبا العاص وردوا على فاطمة مالها<sup>3</sup> .

إنها واقعة أليمة اشتبك فيها وفاء الزوجية بحنان الأبوة ، فنسجت لوحة زاهية من المشاعر الإنسانية الرقيقة لدى رسول الله ﷺ ، حيث ذكرتها هذه القلادة زوجتها الوفية وحببتها الأولى ، فجددت حزنه وألمه على فقدها .

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1808 )

<sup>2</sup> سير الأعلام النبلاء ( 2 / 39 )

<sup>3</sup> السيرة النبوية لابن كثير ( 3 / 204 )

ووجد على حال ابنتها التي ما زال حب زوجها ساكنا في قلبها رغم تفريق الدين بينهما، حتى جاءت بأغلى ما عندها لتفديه من الأسر .

### - غيرته ﷺ لفاطمة .

كانت فاطمة أحب بنات النبي ﷺ إليه ، وأشبهن به أيضا ، ومن مظاهر حبه إياها غيرته ﷺ لها أن يتزوج عليها زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقصة هذه الغيرة الأبوية من النبي ﷺ كما في صحيح البخاري هي :

عن المسور بن مخزومة قال : (( سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني ، يريني ما أرابها ، ويؤذيني ما آذاها ))<sup>1</sup> .

فقد كره النبي ﷺ هذا الزواج ولم يأذن فيه ، وبين أسباب هذه الكراهة وهي كما في الحديث بمجموع رواياته ، كراهة أن يجمع علي بين بنته وبنت أبي جهل ، ومنع وقوع ما يضير ابنتها ويريبها من الزواج عليها ، وهي كراهة طبيعية وليست كراهة شرعية تقتضي التحريم لقوله تعالى : { وَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا }<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 5 / 204 )

<sup>2</sup> سورة النساء الآية 3

قال ابن حجر رحمه الله : (( وفي الحديث تحريم أذى من يتأذى النبي ﷺ بتأذيه ، لأن أذى النبي ﷺ حرام اتفاقا قليله وكثيره ، وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة ، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي ﷺ بشهادة هذا الخبر الصحيح .. ، وفيه حجة لمن يقول بسد الذريعة ، لأن تزويج ما زاد على الواحدة حلال للرجال ما يجاوز الأربع ، ومع ذلك فقد منع من ذلك في الحال لما يترتب عليه من الضر في المال ))<sup>1</sup> .

### - حزن النبي صلى الله عليه وسلم على وفاة ابنه إبراهيم .

إن من أعظم ما شوهد من حزن رسول الله ﷺ وتألمه من الحوادث الأليمة تأثره البالغ بموت ابنه إبراهيم الذي كان يحبه حبا شديدا ، وسماه بأبيه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكان ولده الذكر الوحيد ، حيث مات قبله القاسم وعبد الله في مكة صغيرين كما تقدم في ترجمتهما .

(( عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين ، وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرфан ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : (( يا ابن عوف إنها رحمة )) ثم أتبعها بأخرى ،

<sup>1</sup> فتح الباري ( 9 / 329 )

فقال ﷺ : (( أن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ))<sup>1</sup> .

قال العقاد رحمه الله : (( لقد كان حزنه لموته بمقدار فرحه بمولده ، وكان فرحه بمولده بمقدار أمله فيه واشتياقه إليه ))<sup>2</sup> .

في هذه القصة الأليمة : حزن رسول الله ﷺ على موت ولده إبراهيم ، وبكائه عليه رحمة عليه وشفقة ، وأدب رسول الله مع ربه وتسليمه لقضائه وقدره ، فلم يقل هجرا ، ولم يلطم خدا ، ولم يمزق ثوبا ، ولم يفعل أو يقل شيئا مما لا يرضي الله تعالى ، كما يفعل كثير من الآباء المفجعين بموت أبناءهم و ذويهم من أمور الجاهلية .

### 3- تربيته وتعليمه لأولاده ﷺ .

(( أفضل التربية ما كانت في الصغر ، فالصغير عنده الاستعداد النفسي لاستقبال التوجيهات والمفاهيم أكثر من الكبير ، الذي يصعب تغيير طباعه ، والمثل يقول (( العلم في الصغر كالنقش في الحجر ))<sup>3</sup> .

و هناك لفتات تربوية مهمة يقتنصها الباحث في السيرة النبوية من توجيهات النبي ﷺ لمن عاش من أولاده وبلغوا سن الرشد ، وكذلك من تربى في كنفه من أحفاده الذين هم عنده في منزلة أولاده من الصلب ، وهي توجيهات مليئة بالفوائد والعبر لكل المربين من الآباء وغيرهم ، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 1 / 439 )

<sup>2</sup> عبقرية محمد ص 126

<sup>3</sup> أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية ص 55

## المثال الأول : نهي زينب عن القرب من أبي العاص بعد الفراق .

منذ أن فرق الإسلام بين زينب وأبي العاص ، ظلت العلاقة بينهما معلقة ، فلا اجتماع بينهما ولا عشرة ، وفي جمادى الأولى من السنة السادسة من الهجرة اعترضت سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه قافلة تجارية كان فيها أبو العاص ، وأسروا أناسا منهم ، وأفلت أبو العاص ونجى من الأسر ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من مال و أسرى ، جاء أبو العاص في الليل لطلب ماله ، واستجارت بزینب فأجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح كبر وكبر الناس ، صرخت زينب من صفة النساء : (( أيها الناس أجرت أبا العاص بن الربيع )) ، فما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال : (( هل سمعتم الذي سمعت ؟ )) قالوا : نعم ، قال : (( أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم ، وإنه يجير على المسلمين أدناهم )) ، ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل زينب فقال لها : (( أي بني أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له ))<sup>1</sup> .

والشاهد قوله ﷺ لزینب (( أي بينة أكرمي مثواه ، و لا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له )) ، وفيه : إرشاد لها إلى حسن الضيافة لمن أتاها وله سابق عهد ونكاح ، وتحذير لها من قربه وتمكينه من نفسها بعد أن فرق بينهما اختلاف الدين ، وتعليمها لما قد تجهلها من أحكام الدين المتعلقة بالعلاقة بينهما .

<sup>1</sup> انظر : السيرة النبوية لابن كثير ( 2 / 520 )

وعلى الآباء والأمهات الحرص على معرفة أحكام الخطبة و النكاح والطلاق والعدة وغيرها ، وتعليم أولادهم من البنين والبنات ما يحتاجون إليه من أحكامها ، حتى لا يقعوا في محرم وهم لا يعرفون .

**المثال الثاني : رد سؤال فاطمة الخدم والعبيد وإرشادها لما هو خير من ذلك .**

لم يكن علي ابن أبي طالب ﷺ من الأغنياء الذين يعيشون في رغد من العيش ، وترف في الحياة ، ولم يكن في بيته ما في بيوت أهل الثراء من الأثاث والعبيد والخدم ، وكان أهله يتولون أعمالهم بأنفسهم ويتعبون في ذلك تعباً ظاهراً .

و ذات يوم قال علي لفاطمة : والله لقد سنوات حتى اشتكيت صدري ، وقد جاء الله أباك بسبي ، فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : و أنا و الله لقد طحنت حتى مجلت يداي ، فأتت رسول الله ﷺ فقال : (( ما جاء بك أي بنية ؟ )) قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحيت أن تسأله ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحيت أن أسأله ، فأتيا جميعاً رسول الله ﷺ فقال علي : يا رسول الله لقد سنوات حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة : يا رسول الله لقد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله بسبي وسعة ، فأخدمنا ، فقال : (( لا ، والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ، لا أجد ما أنفق عليهم ولكي أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم )) ، فرجعا .

فأتاهما رسول الله ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطت أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فتأثر فقال : (( مكانكما )) ، ثم قال : (( ألا أخبركما بخير مما سألتماي ؟ )) قالا : بلى ، قال : (( كلمات علمنيهن جبريل ،

فقال : (( تسبحان في دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا ، فإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ))<sup>1</sup>

(( هذا الحديث فيه : حجة لمن فضل الفقر على الغنى ... ، فلو كان الغنى أفضل من الفقر لأعطاهما الخادم وعلمهما الذكر ، فلما منعهما الخادم وقصرهما على الذكر علم أنه إنما اختار لهما الأفضل عند الله ))<sup>2</sup>

(( وفيه : ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش وقلة الشيء وشدة الحال ، وأن الله تعالى حماهم الدنيا مع إمكان ذلك صيانة لهم من تبعاتها ، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء ))<sup>3</sup>

(( وفيه : حمل الإنسان أهله على ما يحمل عليه نفسه من إيثار الآخرة على الدنيا ، إذا كانت لهم قدرة على ذلك ))<sup>4</sup>

(( وفي الحديث : منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام ))<sup>5</sup> ، وذلك لما علم رسول الله ﷺ من إيمانهما وإيثارهما الدنيا على الآخرة ، فعاملها على حسب حالهما ، ولعله لو سأله من هو دونهما في الإيمان و إيثار الدنيا على الآخرة لأعطاه سؤله ، وهذه السنة في سياسة الناس في الإعطاء والمنع ، وتربية كل بما يصلحه لدى النبي ﷺ مشهورة معروفة .

<sup>1</sup> مسند أحمد ( 1 / 106 )

<sup>2</sup> فتح الباري ( 11 / 134 )

<sup>3</sup> فتح الباري ( 11 / 124 )

<sup>4</sup> فتح الباري ( 11 / 124 )

<sup>5</sup> فتح الباري ( 11 / 124 )

(( وفيه : إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر ، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب ، حيث لم يزعجها عن مكانها ، فتركها على حالة اضطجاعها ، وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ، ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بهما من الذكر عوضا عما طلباه من الخادم ))<sup>1</sup> .

### المثال الثالث : نهى الحسن بن علي بن أبي طالب عن أكل الصدقة .

من الأحكام الخاصة بآل بيت النبي ﷺ حرمة أكل الصدقة عليهم وعدم حلها لهم ، لأنها أوساخ الناس ، ولا تليق بمقامهم الذي أنزلهم الله تعالى من بين الناس تكريما لهم وتشريفاً ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يعلم أهله ما يتعلق بهذا الحكم ويربيهم على تجنب ما يخالفه .

(( عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمر من تمر الصدقة ، فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : (( كخ كخ )) ليطرحها ، ثم قال : (( أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة ))<sup>2</sup> .

قال ابن حجر رحمه الله : (( وقوله ﷺ : (( كخ )) بفتح الكاف وكسرهما وسكون المعجمة مثقلا ومخففا ، وبكسر الخاء منونة ، وغير منونة ، فيخرج من ذلك ست لغات ، والثانية تأكيد للأولى ، وهي كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر ، قيل : عربية ،

<sup>1</sup> فتح الباري ( 11 / 124 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 2 / 542 ) صحيح مسلم ( 2 / 571 )



وقيل : أعجمية ، وزعم الداودي أنه معربة ، وقد أوردها البخاري في باب من تكلم بالفارسية ))<sup>1</sup> .

وقال النووي رحمه الله : (( وفي الحديث : أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار ، وتمنع من تعاطيه ، وهذا واجب على الولي ))<sup>2</sup> ، وذلك من باب التربية الوقائية والتنشئة على تجنب الرذائل ليتدرب على تركها وهو صغير غير مؤاخذ بها شرعا ، حتى إذا كبر سهل عليه تركها .

### المثال الرابع : تعليم الحسن دعاء القنوت .

من تمام تربية النبي ﷺ لأولاده تعليمهم ما يحتاجون إليه من أمور الدين ، من العقائد والأحكام والآداب ، ومن ذلك تعليم ولده الحسن بن علي دعاء القنوت .  
 (( عن الحسن بن علي قال : علمني رسول الله ﷺ في وترتي إذا رفعت رأسي ، ولم يبق إلا السجود : )) اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت وتعاليت ))<sup>3</sup> .

ويقاس على تعليم دعاء القنوت تعليم مثله من الأذكار المسنونة كأذكار النوم والاستيقاظ، وما يقال عند الأكل والشرب وما يقال بعدهما وغيرها من الأذكار ، وكذلك

<sup>1</sup> فتح الباري ( 3 / 355 )

<sup>2</sup> شرح صحيح مسلم ( 7 / 175 )

<sup>3</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 3 / 188 )

تعليم ما هو أكد منها وأوجب من باب الأولى ، كتلقين كلمة التوحيد وما تيسر من سور القرآن الكريم .

#### 4- ملاعبة وملاطفة أولاده ﷺ .

( إن روح الدعابة سمة رئيسة في الخصائص الاجتماعية والنفسية لشخصية المربي القدير، لأنها تخفف جدية الحياة ، كأنها تنشر في المناخ النفسي روحا محبة ، وليس في ذلك حرج يخدش كمال الشخصية ، بل إنها سمة منظمة نفيسة ، لأنها تشف عن روح التواضع وتماسك الشخصية ))<sup>1</sup> .

وكثيرا ما كان النبي ﷺ يداعب صغاره ويلطفهم ، رحمة بهم وعطفا و إسعادا لهم وتديلا، فاللعب كما يقرر علماء التربية حاجة أساسية من حاجات الطفولة ، وحرمانهم منه يسبب للأطفال أمراضا وسلوكيات سلبية قد لا تظهر في المراحل المبكرة من أعمارهم.

وفي يلي بعض مشاهد ملاعبة النبي ﷺ لأولاده :

**المشهد الأول : ولده يرتحله وهو ساجد ﷺ .**

كان رسول الله ﷺ يلاعب الحسن والحسين ، ويتجنب ما يقطع عليهما فرحة اللعب ونشوته ، وحتى لو صادف لعبهم الاشتغال بالعبادة كالصلاة ونحوها .

(( عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر ، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين ، فتقدم رسول

<sup>1</sup> أساليب الرسول في الدعوة والتربية ص 52

الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى ، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله ﷺ ساجد ، وإذا الغلام راكب على ظهره ، فعدت فسجدت ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس : يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها ، أفشيء أمرت به ؟ أو كان يوحى إليك ؟ قال : (( كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته ))<sup>1</sup> وفي الحديث شفته ﷺ على ولده وحرصه على أن يمتعه بما شرع فيه من اللعب ، ولم يعنفه أو يزجره ، بل بقي في سجوده ساكنا حتى يقضي حاجته من اللعب ، ولم يقل إنه يقطع علي خشوعي ويكدر علي صفو المناجاة ، حجة كثير من الآباء في هجر أولادهم وإغلاق الأبواب في وجوههم وهم في المكتبات للقراءة أو الكتابة ، أو أمام التلفزيون لتفرج ، أو حتى في حديث مع أصدقائهم وضيوفهم !!

### المشهد الثاني : جمل الحسن والحسين رضي الله عنهما .

عن جابر رضي الله عنه قال : (( دخلت على رسول الله ﷺ وهو يمشي على أربعة ، وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يقول : (( نعم الجمل جملكما ، ونعم العبدلان أنتما ))<sup>2</sup> .

هذا مشهد آخر من مشاهد مداعبة النبي ﷺ لأولاده ، يكون فيه جزءا من الفريق اللاعب ، يتمثل أمام الحسن والحسين في صورة جمل فيركباه ، فيطوف بهما ﷺ ماشيا

<sup>1</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 3 / 181 )

<sup>2</sup> المعجم الكبير للطبراني ( 3 / 52 )

على أربعة ، ويلاطفهما قائلاً (( نعم الجمل جملكما )) ليشعرهما رضاه بمشاركتها في اللعب ، و (( نعم العدلان أنتما ) ليعلمهما أنهما أهل لهذه الكرامة منه ﷺ ، فهما ولدا أحب بناته إليه ، و ريجانتاه من الدنيا ، وسيدا شباب الجنة .

### المشهد الثالث : مداعتهم بلسانه ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه (( أن رسول الله ﷺ كان ليدلع ( يخرج ) لسانه للحسن بن علي ، فيرى الصبي حمرة لسانه ن فيهش إليه )) <sup>1</sup> .

كل ذلك لينوع لهم في اللعب ويتفنن في إدخال السرور عليهم .

(( بهذه المداعبة والملاطفة للطفل والتصابي معه ومحاكاته ومجاراته ، كان يفيض ﷺ حنانا وعطفا وعاطفة صادقة يغذي بها نفوس الأطفال ، بعيدا عن الجفاء والقسوة ، والشدة والقسوة )) <sup>2</sup> .

### 5- عنايته ﷺ بصحتهم .

يجب على الآباء أن يعتنوا بصحة أولادهم ، بوقايتهم من أسبابها المؤدية لها ، وعلاجهم منها إن أصيبوا بها ، ومن هذا الباب تعويد النبي ﷺ أولاده من الشياطين والعين ونحوها ، (( عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : ((إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة )) <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> صحيح بن حبان 15 / 431

<sup>2</sup> أطفال المسلمين وكيف رباهم النبي الأمين ص 55

<sup>3</sup> صحيح البخاري 3 / 1233

وفيه : أن ( العلاج بالأذكار والطب النبوي ركن أساسي وأصيل في التداوي والمحافظة على صحة الطفل وقوته )<sup>1</sup> .

ولا يعني هذا أبدا ترك التداوي بالأدوية الطبيعية من الأعشاب والعقاقير ونحوها ما لم يشتمل على محرم شرعا ، فقد قال ﷺ : (( ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ))<sup>2</sup> . وعلى الآباء أن يجنبوا أولادهم تعليق التمايم من القرآن وغيره ، لكونه ذريعة إلى الشرك بالله تعالى ، ولأن الله تعالى لم يجعل شفاء أمته في حرام .

## 6- سد الذريعة إلى الغلو في أولاده ﷺ :

لما خسفت الشمس في يوم وفاة ولد النبي ﷺ إبراهيم ، زعم الناس أن سبب ذلك هو موت إبراهيم ، وبدئوا يخوضون في تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ فند ما كانوا يعتقدونه من الباطل ، وزيف ما علق في عقولهم من الخرافة . قال المغيرة بن شعبة رضي عنه : (( انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم ، فقال الناس : انكسفت لموت إبراهيم ، فقال رسول الله ﷺ : (( إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي ))<sup>3</sup> .

قال النووي رحمه الله تعالى : (قال العلماء : والحكمة في هذا الكلام أن بعض الجاهلية الضلال كانوا يعظمون الشمس والقمر ، فبين أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى ، لا صنع

<sup>1</sup> أطفال المسلمين وكيف رباهم النبي الأمين ص 87

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 5 / 2151 )

<sup>3</sup> صحيح البخاري ( 1 / 353 )

لهما ، بل هما كسائر المخلوقات ، يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما ، وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول : لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك ، فبين أن هذا باطل ، لا يعتر بأقوالهم ... )<sup>1</sup> .

قلت : وهناك بعض المسلمين الجهلة في زماننا يعتقدون في الشمس والقمر وسائر الكواكب عقيدة أولئك الجاهليين والمنجمين ، فمتى ما انخسفت الشمس أو القمر ، أو شاهدوا نجما هوى ، أو مطر نزل ، وصادف ذلك ميلاد أو موت أحد من الناس ، أو كان في يوم معظم عندهم ، تحدث الناس أن ذلك إنما حدث لكذا وكذا .

وفي هذا مخالفة صريحة و مجانبة واضحة لهدي النبي ﷺ وسنته في تفسير هذه الحوادث الكونية ، حيث بين ﷺ بما يدع مجالا للشك أن ليس هناك علاقة بين هذه الحوادث وما يقدره في خلق الله .

قال المفكر الإسلامي الكبير أبو الحسن الندوي رحمه الله : ( ولو كان مكان رسول الله ﷺ في هذه المناسبة الحزينة العاطفية أي داعية من الدعاة ، أو زعيم من الزعماء ، أو قائد دعوة وحركة وجماعة ، كان أقل مواقفه من هذا التعليق أو التفسير للحدث أو السكوت ، لأنه كان في صالح دعوته وحركته ، ولأنه يضيف على شخصه و أسرته ما يستطيع أن يستعين به في بسط نفوذه على قلوب الناس وعقولهم وتقوية ثقتهم به وإعجابهم له )<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 6 / 201 )

<sup>2</sup> السيرة النبوية للندوي ص 442

## 7- حسن رعاية أربائه و ربايه ﷺ .

خلف أبو سلمة أربعة من الأولاد وهم : سلمة ، وعمر ، ودره ، وزينب ، رضي الله عنهم ، ولما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة كانوا في حجر رسول الله ﷺ يعاملهم معاملة الأب الرحيم والكافل الأمين ، لا يفرق بينهم وبين أولاده في التربية والرعاية .  
ومن مظاهر رعاية النبي ﷺ لأربائه ولربائه ما يلي :

## المظهر الأول : حسن تربيتهم .

أول مراتب التربية وأشرف معانيها هو توجيه النشء إلى الفضائل ، بأن يرشده إلى الإيمان والعبادة والتخلق بالأخلاق الحسنة ، وإبعاده عن الرذائل بأن ينهاه عن الشرك بالله وكل ما يؤدي إليه ، ويجنبه عن المعاصي ، وعن الأخلاق السيئة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }<sup>1</sup> .

وقد حرص النبي ﷺ على تربية أربائه و ربايه تربية حسنة ، وتنشئتهم تنشئة صحيحة ، ف (( عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما أنه دخل على رسول الله وعنده طعام فقال : (( أدن يا بني ، فسم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ))<sup>2</sup> .

هذا الحديث يكشف لنا صورا مشرقة من حسن تعامل النبي ﷺ مع أربائه و ربايه ومنها ندائه لربييه عمر ب : يا بني ، كما يدعو سائر أولاده من الصلب ، ولهذا النداء

<sup>1</sup> سورة التحريم الآية 6<sup>2</sup> مختصر الشمائل المحمدية ص 106

أثر عظيم في نفوس الأيتام الذين حرموا من كثير من معاني الأبوة ، التي لا يدركها إلا من عانى من اليتيم و مآسيه ، وكذلك إرشاده إلى آداب الأكل والشرب وأهمها أن يسم الله تعالى في أوله ، وأن يأكل بيده اليمنى ، وأن يأكل مما يليه من الطعام .

### المظهر الثاني : إطعامهم مما يطعم .

من تمام الرعاية وحسن الكفالة أن يطعم المرء من تحتته من أزواجه وأولاده وخدمه ومواليه مما يطعم ، وليس من المستحسن أن يخص نفسه بطعام فوق طعامهم ، لما في ذلك من التكبر عليهم والاحتقار لهم ، وهما خلقان ذميان .

ومن شمائل النبي ﷺ أنه كان يشرك الناس جميعا في طعامه كثيره وقليله ، غاليه و رخيصه ، ولذلك لما دخل عليه ربيبه عمر لم يطرده أو يرمي إليه بالفتات ، وإنما دعاه ليأكل معه وقال له : (( يا بني أدن ... )) .

وفي إطعام الولد من طعام كافله ومربيه وعلى مائدته فوائد تربوية كثيرة منها ، غرس روح التكافل الاجتماعي وسلوك التعاون في نفس الولد ، لأنه حين يتربى على إشراك الناس في ما يملك من الطعام والشراب ونحوهما ، ولا يستأثر بشيء من ذلك دون إخوانه وزملائه ، يسهل عليه إذا كبر أن يتعاون معهم على صنوف البر وخصال التقوى .

ومنها أيضا مراقبته أثناء الأكل وتعليمه آداب الأكل والشرب ، ومنعه من العادات السيئة التي يتعود عليها الصغار وهم يأكلون أو يشربون .



وليُقَس على الطعام والشراب اللباس والسكن وغيرهما ، فإن استطاع أن يلبس أهله مما يلبس ويسكنهم حيث يسكن فهو أولى ، ولا بأس في اليسير الزائد من ذلك ، إذ ليس من المطلوب فيه التساوي والاتحاد .

### المظهر الثالث : تزويجهم من أقاربه .

يجب على أولياء الأمور ، وخاصة كافلي اليتامى وغيرهم من الضعفاء أن يزوجهم إذا بلغوا سن الزواج ، وينصحوا لهم في ذلك بأن يختاروا لهم زوجات صالحات لائقات بأمشاهم ، قال تعالى : { وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }<sup>1</sup> ، و ( الأيامي جمع أيم ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها ، وللرجل الذي لا زوجة له ، وسواء كان قد تزوج ثم فارق ، أو لم يتزوج واحد منهما ... )<sup>2</sup> .

وقد زوج النبي ﷺ ربيبه سلمة بابنة أخيه من الرضاعة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وقال (( هل جزيت سلمة )) أي هل كافأته على تزويجه إياي بأمه أم سلمة ، وروي أن الذي زوجها ابنه عمر<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> سورة النور الآية 32

<sup>2</sup> تفسير القرآن العظيم ( 3 / 287 )

<sup>3</sup> سبل الهدى والرشاد ( 11 / 191 )

## المبحث الرابع : هديه في التعامل مع أقاربه ﷺ

ليس مفهوم الأسرة في الإسلام مقصوراً على أصول الإنسان وفروعه فقط ، بل إنه يشمل من هو أبعد منهم من العصبية وذوي الأرحام .

وللقربة من جهة الأمومة أو الأبوة حقوق عظيمة في الشريعة الإسلامية ، يجب صيانتها ورعايتها قال تعالى : { وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا } <sup>1</sup> .  
قال ابن عاشور رحمه الله : ( وللقربة حقان : حق الصلة ، وحق المواساة ، وقد جمعها جنس الحق في قوله ( حقه ) ، وقد بينت أدلة شرعية حقوق ذي القرى ومراتبها ، من : واجبة مثل بعض النفقة على بعض القرابة مبينة شروطها عند الفقهاء ، وغير واجبة مثل الإحسان ... ) <sup>2</sup> .

(( وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال : ((أمك )) قال : قلت : ثم من ؟ قال : (( أمك )) قال : قلت ثم من ؟ قال : (( أمك )) قال : قلت : ثم من ؟ قال : (( ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب )) <sup>3</sup> .

وفي الحديث الحث على الإحسان إلى الوالدين ، وكذلك إلى ذوي القرابة ، وأحقتهم بالبر والإحسان أقربهم جهة ودرجة .

<sup>1</sup> سورة الإسراء الآية 26

<sup>2</sup> التحرير والنوير ( 14 / 61 )

<sup>3</sup> سنن الترمذي ( 4 / 309 )

هذا ، وقد جسد النبي ﷺ في سيرته مع أقاربه أروع معاني البر والإحسان ، وقد عم بره وإحسانه القريب منهم والبعيد ، والذكر والأنثى ، والمسلم والكافر ، وفي هذا المبحث سوف نذكر بعض مظاهر هذا البر والإحسان إن شاء الله تعالى .  
وذلك في المطالب التالية :

### المطلب الاول :

#### النبي ﷺ في كفالة اقاربه

من المعروف لكل دارس للسيرة النبوية أن رسول الله ﷺ ولد يتيما ، حيث توفي أبوه عبد الله وهو في بطن أمه على أصح الأقوال ،<sup>1</sup> ولم يبق في حضن أمه آمنة بنت وهب إلا ست سنوات ، تخللتها سني الرضاع لدى بادية بني سعد .<sup>2</sup>  
ثم انتقلت حضنته إلى جده عبد المطلب الذي ( ضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه )<sup>3</sup> ، ومدة حضنته له سنتان .

ولما حضر عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ محمد و حياطته ، فصار عنده مكرما معززا إلى أن بلغ أشده .

ولما أكرمه الله تعالى بالرسالة حماه أبو طالب من أذى المشركين من قريش ، وإن لم يدخل في دينه ، وحاولت قريش مرات عديدة الضغط على أبي طالب ليتخلى عن رسول

<sup>1</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد ( 1 / 100 )

<sup>2</sup> السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 110

<sup>3</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد ( 1 / 118 )

الله ﷻ ويترك نصرته وحمايته ، وفشلت كل تلك المحاولات ، <sup>1</sup> قال عقيل بن أبي طالب : (( جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا ، فانهه عنا ، فقال : يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ، فانطلقت فاستخرجته من كنس ، أو قال خنس (( بيت صغير )) فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال : إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانهه عن أذاهم ، فحلق رسول الله ﷻ ببصره إلى السماء ، فقال : (( ترون هذه الشمس ؟ )) قالوا : نعم ، قال : (( فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منها بشعلة )) ، فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط ، فارجعوا )) <sup>2</sup> .

ولم تياس قريش من محاولاتهم و مكائدهم الخبيثة في مساومة أبي طالب في ابن أخيه ، ورجعوا إليه مرة أخرى بأسلوب يظنون أنه سيقبله ، فقالوا : (( يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذ ولدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، وإنما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسوموني ، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونونه ، هذا والله ما لا تكون أبدا... )) <sup>3</sup> وقد ثبت أبو طالب على هذه المواقف المشرفة إلى أن توفي وهو على دين قومه ، ولكن لم يخذل رسول الله قط ولم يتركه مع أعدائه أبدا .

<sup>1</sup> السيرة النبوية لعلي الصلابي ( 1 / 199 )

<sup>2</sup> السيرة النبوية لابن كثير ( 1 / 463 )

<sup>3</sup> السيرة النبوية لابن هشام ( 2 / 102 )

و هناك موقف آخر من ذوي قرابته في النصرة والحماية له دلالاته الاجتماعية واعتباراته الإنسانية ، وهو موقف عمه العباس بن عبد المطلب وشهوده لبيعة العقبة الثانية ، حيث كان هو أول المتكلمين وهو آنذاك على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه و يتوثق له ، فقال : (( يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ... ))<sup>1</sup> . وكان يريد أن يتأكد من صدق الوفد في حماية رسول الله ﷺ و إلا يتركوه . وكل هذه المواقف المؤازرة لرسول الله من أقاربه كانت محفوظة في خلده ، لم ينسه يوما من الأيام ، بل كان يذكرها دوما ويشكرها .

### المطلب الثالث : هديه في التعامل مع اقاربه ﷺ

لذوي القربى حقهم في الإحسان وفي المواساة ، لأنهم صنو أصول المرء وفروعه ، أيا كان جهتهم أو درجتهم من القرابة والرحم . وفي سيرة رسول الله ﷺ مع أقاربه نرى أجمل الصور وأروع الأمثلة في التعامل مع الأقارب ، يقول الباحث محمد بن عبد القادر أبو فارس : (( صلة النبي صلى الله عليه وسلم بأقاربه وعشيرته ، وكذلك المسلمون من بني هاشم كانت حسنة ، فتعاطفوا معهم ونصروهم ، مع أنهم ليسوا على دينهم ، ويمكن للداعية أن يحسن علاقته مع عشيرته دون

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد ( 3 / 461 )

أن يخالف شرع الله وحكمه ، ويستفيد من حسن الصلة بهم في خدمة دعوته ونشر فكرته وتوفير الحماية له من أعدائه ))<sup>1</sup> وفيما يلي نتف يسيرة من هديه في ذلك :

## 1- الحرص على هدايتهم إلى الحق .

لم يسد قريب لقريبه خيرا من هدايته إلى الحق ، بأن يدعو إلى الإيمان بالله تعالى والدخول في الإسلام إن لم يكن من أهله ، أو بدعوته إلى الثبات على الإيمان بالله وملازمة الطاعات ، و البعد عن الشرك وذرائعه وترك المعاصي وعدم القرب منها إن كان من أهل الإسلام .

ولذلك مدح الله نبيه إسماعيل بأمر أهله بالصلاة والزكاة ، فقال : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا }<sup>2</sup> .

ولما بعث الله نبيه محمد ﷺ إلى الناس أجمعين أمره سبحانه في الدعوة و الندارة بعشيرته الأقربين ، قال تعالى { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }<sup>3</sup> .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : (( عشيرة الرجل هم بني أبيه الأذنون ، أو قبيلته ، لأنهم أحق الناس ببرك وإحسانك الديني والديني ... ))<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> السيرة النبوية دراسة تحليلية ص 191 لمحمد بن عبد القادر أبو فارس

<sup>2</sup> سورة مريم الآيات 45 ، 55

<sup>3</sup> الشعراء الآية 214

<sup>4</sup> فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 212

فلما نزلت هذه الآية نهض رسول الله لدعوة أقاربه وتبشيرهم بما جاء به من عند الله من التوحيد ونبد عبادة الأصنام ، (( عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } <sup>1</sup> قال : (( يا معشر قريش )) أو كلمة نحوها )) اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سألني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئا. )) <sup>2</sup>

هكذا عم ثم خص في دعوة أقاربه ، ولم يترك منهم أحد ، امتثالاً لأمر ربه سبحانه وحرصاً على هدايتهم إلى الحق الذي لا نجا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بقبوله . قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : (( وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم ، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله )) <sup>3</sup> .

وبهذه الدعوة المباركة لأقاربه دخل كثير منهم في الإسلام .

## 2- تربيتهم وتعليمهم .

(( عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : أهدي إلي النبي ﷺ بغلة ، أهداها له كسرى ، فركبها بجبل من شعر ، ثم أردفني خلفه ، ثم سار بي مليا ، ثم التفت فقال : ))

<sup>1</sup> الشعراء الآية 214

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 3 / 1012 )

<sup>3</sup> فقه السيرة ص 97

يا غلام )) قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : (( احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد مضى القلم بما هو كائن ، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك ، لم يقدروا عليه ، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك ، لم يقدروا عليه ، فإن استطعت أن تعمل بالصبر واليقين فافعل ، فإن لم تستطع فاصبر ، فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، واعلم أن مع الصبر النصر ، واعلم أن مع الكرب الفرج ، واعلم أن مع العسر اليسر ))<sup>1</sup> .

نجد في هذا الحوار بين النبي الكريم ﷺ وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما توجيهات تربوية هامة ذات مقاصد وغايات جلية وخلاصتها :

### المقصد الأول : غرس الإيمان .

يقصد النبي في حوارهِ هذا إلى غرس الإيمان في نفس هذا الغلام وتعليمه حق الله تعالى عليه ، فالإيمان بالله تعالى هو أول أمر يجب أن يخاطب بها الناشئة ، لكونه أول الواجبات وأكد الفرائض ، قال تعالى : { وَفَضَىٰ رُبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }<sup>2</sup> ، وقد بدأ به لقمان موعظته لابنه ، قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }<sup>3</sup> ، وهو مهمة لا تتطلب من المرء

<sup>1</sup> المستدرك على الصحيحين ( 3 / 623 )

<sup>2</sup> سورة الإسراء الآية 32

<sup>3</sup> سورة لقمان الآية 13



عناء فكريا كبيرا ، فلا يحتاج إلى سوق الأدلة والبراهين ، ولا أن يتبع مسالك المتكلمين في الإقناع ، فكل مولود يولد على الفطرة ، كما قال ﷺ (( كل مولود يولد على الفطرة ))<sup>1</sup> ولذلك يعد ما يقوم به المرابي من غرس الإيمان وتعليم التوحيد من باب الشد والتقوية لما هو موجود أصلا ، كما يقوم الفلاح بسقي الزرع وتجنبيه للآفات المفسدة حتى ينمو ويكبر وتؤتي ثماره يانعة .

### المقصد الثاني : الأمر بملازمة الطاعة .

يلي الإيمان في الأهمية والمرتبة طاعة الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، ولذلك أمر الرسول ﷺ عبد الله بعد الإيمان بالله تعالى بحفظ الله تعالى وهو أن يحفظه في أوامره بفعلها، ويحفظه في نواهيه فيتركها ، ويلتزم بشرعه لا يخالفه ، وأفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى ما فرضه على عباده من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها من العبادات ، وكذلك الصدق وبر الوالدين وصلة الرحم وغيرها من المعاملات ، وكلها مما يجب أن يدرّب الولد على فعلها منذ الصغر ، حتى إذا كبر وبلغ سن التكليف وجد نفسه منقاداً لأدائها بلا حرج أو مشقة .

### المقصد الثالث : الإرشاد إلى ربط الصلة بالله تعالى .

ولأن طريق الشباب مخوف بالمشاكل والمخاطر التي تستهدف عقيدته وأخلاقه وسلوكه، وكذلك صحته وعافيته ، وحاضره ومستقبله ، أرشد النبي الكريم ﷺ هذا الشاب المسلم إلى ضرورة ربط الصلة بالله تعالى و التحصن بمنهاجه القويم في كل أمور

<sup>1</sup> صحيح البخاري ( 1 / 456 )

الحياة ، وسلوك الصراط المستقيم ، فيحفظ الله تعالى في دينه علما وعملا ، ليجد الله تعالى أمامه حافظا إياه من كل المكاره وعاصما إياه من كل الفضائح ، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } <sup>1</sup> ، وقال عز وجل { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } <sup>2</sup> .

### 3- برهم والإحسان إليهم .

من حقوق ذوي القربى البر والإحسان إليهم ، ويكون ذلك بالقول أو بالفعل ، أو بهما معا ، وكان النبي الكريم ﷺ بارا بأقاربه ومحسنا إليهم بكل أنواع البر وجميع صنوف الإحسان ، وفيما يلي بعض النماذج على ذلك :

#### النموذج الأول : إيتاء المال .

إن إيتاء المال لمن يحتاج إليه من الأقارب له أجران ، أجر الصدقة وأجر الصلة ، ولذلك قدم الله ذوي القربى على غيرهم ممن أمر بأن يؤتوا المال ، قال تعالى : { وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } <sup>3</sup> . وكان رسول الله ﷺ يعطي أقاربه مما آتاه الله من المال عملا بأمر الله تعالى ، وصيانة لهم من ذل السؤال ، وحفظا لهم من أوساخ الناس ( الصدقات ) التي لا تحل لهم .

<sup>1</sup> سورة الأنفال الآية 24

<sup>2</sup> سورة النحل الآية 97

<sup>3</sup> سورة البقرة الآية 177

وقد أعطى عمه العباس بن عبد المطلب من المال ما لم يستطع حمله ، (( عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أن العلاء الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفا ، فما أتى رسول الله ﷺ مال أكثر منه ، لا قبلها ولا بعدها ، فأمر بها فنثرت على حصير ، ونودي بالصلاة ، فجاء رسول الله ﷺ يميل على المال قائما ، فجاء الناس فجعل يعطيهم ، وما كان يومئذ عد ولا وزن ، وما كان إلا قبضا ، فجاء العباس فقال : يا رسول الله إني أعطيت فدائي وفداء عقيم يوم بدر ، ولم يكن لعقيم مال ، أعطني من هذا المال ، فقال رسول الله ﷺ ((خذ)) فحشى في خميسة كانت عليه ، ثم ذهب ينصرف فلم يستطع ، فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ارفع علي ، فتبسم رسول الله ﷺ ))<sup>1</sup>

ومن أعطاهم النبي ﷺ مالا عمته صفية بنت عبد المطلب ، حيث أعطها أربعين وسقا من التمر لما فتح خيبر .

### النموذج الثاني : الملاطفة في القول .

فقد كان النبي ﷺ يلاطف أقاربه في الكلام ويحسن القول لهم ، كنوع من أنواع البر والإحسان ، ومما حفظ من ذلك ما يلي :

أولا : قوله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : (( أنت مني بمنزلة هارون من موسى )) .

ومناسبة هذا القول هي لما استخلفه النبي ﷺ في غزوة تبوك على أهله ، فقال ﷺ أتستخلفني على النساء والصبيان ؟ ، كأنه كره ذلك ! فبين له النبي ﷺ أنه لم يستخلفه

<sup>1</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 3 / 372 )

على أهله لتحقيقه أو إيثار غيره عليه ، وإنما لعظم منزلته لديه ولثقتة به وقربه منه ، كما استخلف موسى أخاه هارون عليهما السلام لما ذهب لميقات ربه ، كما في قوله تعالى :  
 {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }<sup>1</sup> .

وقد فهم بعض الطوائف من هذه المقولة أولوية علي عليه السلام بالخلافة بعد النبي ﷺ ، وهو فهم سقيم بلا شك ، وقد رد أهل العلم على القائلين بذلك ، قال القاضي عياض رحمه الله : (( وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده ، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعل حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى ، بل توفي في حياة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص ، قالوا : وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة ، والله أعلم ))<sup>2</sup> .

ثانيا : قوله ﷺ لجعفر رضي الله عنه (( أشبهت خلقي وخلقي )) .

ومناسبة هذا القول هي لما اختصم علي وزيد بن حارثة وجعفر رضي الله عنهم في كفالة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب (( فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر : ابنة عمي ، وحالته تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي ، ففضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : (( الخالة بمنزلة الأم )) وقال لعلي : (( أنت مني ، وأنا منك )) وقال لجعفر : (( أشبهت خلقي وخلقي )) وقال لزيد : (( أنت أخونا ومولانا ))<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> سورة الأعراف الآية 142

<sup>2</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 15 / 174 )

<sup>3</sup> صحيح البخاري ( 4 / 1551 )

وفيه منقبة عظيمة وفضل كبير لجعفر عليه السلام حيث جمع الله تعالى له بين شبه النبي في خلقه شبه في خلقه .

### النموذج الثالث : الحزن بما تحل عليهم من المصائب .

إن من إحسان المرء إلى ذوي قرابته ورحمه أن يواسيهم بمصائبهم ويحزن عليهم ، كما يشاركهم في أفراحهم ومناسباتهم السعيدة ، سواء بسواء .

وكان النبي ﷺ يحزن أشد الحزن على ما يصيب أقاربه من مصائب ويتألم لألمهم ، فقد حزن على موت أبي طالب على دين قومه حزنا شديدا ، حتى عاتبه ربه على ذلك في قوله تعالى : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }<sup>1</sup> ، والقصة في الصحيحين : (( عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال : (( أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : (( والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }<sup>2</sup> وأنزل الله في أبي طالب فقال

<sup>1</sup> سورة القصص الآية 56

<sup>2</sup> سورة التوبة الآية 113

رسول الله ﷺ { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ } <sup>(1)</sup> . <sup>2</sup>

ويجدر التنبيه هنا إلى أن الهداية المنفية هنا عن النبي ﷺ هي هداية التوفيق وخلق الإيمان في القلوب ، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، أما هداية الإرشاد والدلالة إلى الحق فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } <sup>3</sup> ، وهي أيضا من واجبات ورثتهم من العلماء والمصلحين قال تعالى : { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } <sup>4</sup> .

ولما استشهد جعفر ﷺ في غزوة مؤتة أتى إلى أهله يؤاسيهم ويصبرهم ، قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها : لما أصيب جعفر وأصحابه دخلت علي رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مينة ، وعجنت عجيتين ، وغسلت بني ، ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله ﷺ ائتني ببني جعفر ، قالت فأتيته بهم ، فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : (( نعم ، أصيبوا هذا اليوم )) فخرجت أصيح ، واجتمع إلي النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى

<sup>1</sup> سورة القصص الآية 56

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 4 / 1789 ) ، صحيح مسلم ( 1 / 45 )

<sup>3</sup> سورة الشورى الآية 52

<sup>4</sup> سورة الأنبياء الآية 73

أهله فقال : (( لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم ))<sup>1</sup> .

#### 4- تقديم الأقرباء في المغارم وتأخيرهم في المغانم .

من هدي النبي الكريم ﷺ في التعامل مع أقاربه تقديمهم في المغارم وتأخيرهم في المغانم ، حتى يرببهم على معالي الأمور ، ويجنبهم من التنافس على الدنيا وزينتها ، وقد أشار الداعية الكبير أبو الحسن الندوي رحمه الله إلى هذا الهدي العظيم فقال : ( وكان شعاره الدائم في أهل بيته وعياله وأقرب الناس إليه تقديمهم في المخاوف والمغانم ، وتأخيرهم في الرخاء والمغارم )<sup>2</sup> .

- وذكر رحمه الله مثالين لتقديمهم في المغارم :

**المثال الأول : أمر حمزة وعلي وعبيدة بمبارزة الكفار يوم بدر .**

وذلك لما طلب عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من يبارزهم من قريش ، فاختار النبي ﷺ ثلاثة من أقربائه لمبارزة هؤلاء الشجعان الصناديد ، وهم حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة ، ولم يؤثر أحدا عليهم ضنا بحياتهم وإبقاء عليهم.

1

2 السيرة النبوية للندوي ص 434

**المثال الثاني : وضع ربا عمه العباس ، وهدر دم ربيعة بن الحارث بن عبد  
المطلب .**

وذلك في حجة الوداع لما أراد أن يجرم الربا تحريماً نهائياً ، ويهدر دم الجاهلية القديم ، فقال في خطبته المشهودة ﷺ : (( وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث )) .

- وأما تأخيرهم في المغنم فأتى بمثال واحد وهو :

**1 . امتناعه من إعطاء علي وفاطمة من الأموال والخدم .**

وقد سبق ذكره وما يستفاد منه من الدروس في مبحث سابق فليراجع هنالك .

قلت : وهناك أمثلة أخرى على تأخير النبي ﷺ أقاربه عند المغنم ومنها :

**- عدم تخصيصهم بشيء من العلم أو الملك .**

فلم يخص النبي أقاربه من دون المسلمين بشيء من العلم لا يعلمه غيرهم ، ف (( عن أبي الطفيل قال : سئل علي رضي الله عنه هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة ، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها (( لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً ))<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> السيرة النبوية للندوي ص 434 ، 435

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد ( 1 / 118 ) ، سنن البيهقي الكبرى ( 9 / 250 )



أما الملك فكان بإمكانه ﷺ أن يوصي بالخلافة لأقرب الناس إليه من بعده ، ولكنه لم يفعل ، وترك الأمر بعده شورى بين المسلمين ، وما قد يوجد من إشارة إلى من يخلفه بعده كان إلى أبي بكر الصديق ﷺ ، وكل ما يقال عن الوصية لآل بيته بالخلافة من بعده لم يثبت ، وهو مخالف لإجماع الصحابة ومن بعدهم من التابعين ، حتى ما تركه ﷺ من المال فهو إلى بيت المال صدقة ، لقوله ﷺ (( لا نورث ما تركناه صدقة ))<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> صحيح مسلم ( 3 / 1378 )

## المبحث الخامس : هديه ﷺ في التعامل مع خدمه ومواليه

(( إن معاملة الإنسان لمواليه وخدمه تعتبر أدق مقياس لنفسية هذا الإنسان ، لأنه لا رادع له فيها إلا رادع الخلق والدين ))<sup>1</sup> .

ومن هنا ندرك عظمة النبي ﷺ وسمو أخلاقه وكرم طبائعه ، إذ لم يختلف تعامله مع من تحته من الخدم والموالي عن تعامله مع غيرهم من الناس ، فلم يك ينظر إليهم على أنهم طبقة أخرى دون الناس ، وأنهم في الدرجة الثانية أو الثالثة في المجتمع ، بل كان يعتبرهم إخوة في الدين وفي الإنسانية لهم جميع حقوق الأخوتين .

ورغم تعدد من تشرف بأن يكون خادما أو مولى له فلم يؤثر منه ﷺ أنه أهان منهم أحدا ، أو بخسه شيئا من حقوقه .

وفي هذا المبحث سوف نسوق من هديه الكريم في التعامل مع خدمه ومواليه ما يكشف عن أروع القيم الحضارية في التعامل مع الخدم والموالي ، مما لم تحلم به البشرية من قبل ، و لم تشاهد مثله قط في غير سيرته أو سيرة من اقتفى أثره وتمسك بسنته ﷺ .

### المطلب الأول : فضائل خدم النبي ﷺ ومواليه .

هناك فضائل عظيمة ومناقب كثيرة لخدم النبي ﷺ ومواليه ، تناسب شرف مخدمهم ومولاهم ، ومن هذه الفضائل و المناقب ما يلي :

<sup>1</sup> دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ص 189

## 1- كون مواليه من أهل بيته ﷺ .

إن موالي رسول الله ﷺ من أهل بيته الشريف ، لقوله ﷺ (( الولاء لحمة كلحمة (النسب))<sup>1</sup> ، لذلك فإنهم جزء من أسرة النبي يشتركون معهم في كثير من الحقوق والواجبات .

وقد اختلف أهل العلم في تحريم الصدقة على موالي بني هاشم إلى قولين .

### القول الأول : أن الصدقة حرام عليهم .

وهو قول أحمد ، وأبي حنيفة ، وبعض المالكية ، وهو الصحيح عند الشافعية ، ومن أدلتهم حديث ابن عباس (( أن رسول الله ﷺ استعمل أرقم بن أرقم الزهري على الصدقة فاستتب أبا رافع ، فقال رسول الله ﷺ : (( إن الصدقة حرام على محمد وآل محمد ، وإن مولى القوم من أنفسهم ))<sup>2</sup> .

### القول الثاني : حل الصدقة لهم .

وهو مذهب الإمام مالك رحمه الله ، ومن الأدلة على هذا القول ما روي أن بريرة كانت تأخذ الصدقة من الناس ، وتهدى منها لرسول الله ﷺ ولم تنهها من ذلك ، فدل على حلها لها ، ولأنهم في الحقيقة ليسوا منهم<sup>3</sup> .

وعلى كل حال فإن مما لا شك فيه أنهم وإن لم يساؤوا أهل البيت في كل شيء فقد نالوا من شرفهم وطهارتهم بنصيب وافر .

<sup>1</sup> المستدرک علی الصحیحین ( 4 / 379 )

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد ( 6 / 8 ) ، المعجم الكبير للطبراني ( 11 / 379 )

<sup>3</sup> انظر : أحكام القرآن الجصاص ( 4 / 337 ) ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ( 3 / 356 )

## 2- معرفة خدمه ومواليه ﷺ لسننه و هديه الباطن .

من خصائص خدم النبي ﷺ ومواليه ما فاقوا فيه غيرهم من معرفة كثير من سنن النبي ﷺ وهديه الباطن ، وكذلك أحواله وشمائله ، فهم الذين عاشوا معه في بيته وصحبوه ليلا ونهارا ، واستعملهم في حوائجه الخاصة ، فاكتمسبوا بذلك علما وهدايا فات غيرهم من الناس .

(( قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم ، يعني أنس بن مالك ))<sup>1</sup> ، وهو خادم النبي الذي خدمه عشر سنين ، وهي مدة لم يخدمه مثلها أحد غيره ، ولذلك فإن مما يلفت نظر الباحث المتأمل في الشمائل النبوية كثرة ما روى منها أنس بن مالك ، الذي كان يشهد بأنه لم ير أحسن خلقا من رسول الله ، ولا أرحم منه بعياله ...

## 3- نيل ثواب خدمة رسول الله .

إذا كان ثواب إعانة المسلم على قضاء حاجته ، أن يعينه الله على حاجته ويوفقه في أموره ، فكيف بمن يكون على حوائج النبي ﷺ ويسهر على خدمته ، فيعد له طهوره ، أو يحمل عنه نعله و متاعه ، أو يعتني بدوابه ، وهلم جرا ، لا يعلم ثواب ذلك إلا الله تعالى .

وزد على ذلك معيتهم الدائمة للنبي ﷺ وصحبتهم الطويلة له ، وقد مدح الله تعالى الذين كانوا معه فقال : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ

<sup>1</sup> المعجم الأوسط ( 7 / 367 )

تَرَاهُمْ رُكْعًا رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ  
 ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ  
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ  
 مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا }<sup>1</sup> .

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يجلون موالي الرسول ﷺ وخدمه ويحترمونهم ،  
 ويكرمونهم غاية الإكرام .

بل إن الحيوانات لتعلم فضل موالي رسول الله وخدمه ، (( عن محمد بن المنكدر عن  
 سفينة رضي الله عنه قال : كنت في البحر فانكسرت سفينتنا ، فلم نعرف الطريق ، فإذا أنا بالأسد  
 قد عرض لنا فتأخر أصحابي ، فدنوت منه فقلت : أنا صاحب رسول الله ﷺ ، وقد  
 أضللنا الطريق ، فمشى بين يدي حتى أوقعنا على الطريق ثم تنحى ودفعني ، كأنه يريدني  
 الطريق ، ثم جعل يهمهم فظننت أنه يودعنا ))<sup>2</sup> .

**المطلب الثالث : هديه ﷺ في التعامل مع خدمه ومواليه .**

يعيش الناس اليوم في عالم يأكل فيه الأغنياء الفقراء ، ويظلم فيه الأقوياء الضعفاء ،  
 ويمنعون في الدساتير من الاستعباد والرق ، ويمارسه بعضهم ضد بعض على أشنع صوره  
 وأشكاله .

<sup>1</sup> سورة الفتح الآية 29

<sup>2</sup> مسند البزار ( 9 / 285 )

وفيما يلي نقدم للبشرية التائهة قبسات من سيرة المصطفى ﷺ في تعامله مع خدمه ومواليه ، ليستضيء به في حياته كل من جعل الله تحت يده أحاله في الإنسانية ، سواء كان خادما له في بيته ، أو عاملا في شركته ، أو أسيرا له في حرب .

## 1- محبة النبي ﷺ لخدمه ومواليه .

مما سجل من المحبة الظاهرة لرسول الله ﷺ حبه لمولاه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، حتى كان يدعى أسامة بالحب ابن الحب ، وكان نقش خاتمته ﷺ (( حب رسول الله ﷺ ))<sup>1</sup> .

ومن دلائل حبه ﷺ لزيد بن حارثة وابنه أسامة ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (( دخل علي رسول الله ﷺ ذات يوم وهو مسرور فقال : (( يا عائشة ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي فرأى أسامة بن زيد وزيدا ، وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ))<sup>2</sup> .

وكان الناس قبل ذلك يشكون في نسب أسامة لاختلاف لونه عن لون أبيه ، ففرح النبي ﷺ بزوال هذا الشك بشهادة هذا الخبير في علم القيافة .

## 2- إحسانه ﷺ إلى خدمه ومواليه .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : (( خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط ، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا ، وهلا فعلت كذا ))<sup>3</sup> ، قال النووي

<sup>1</sup> معرفة الصحابة ( 1 / 224 )

<sup>2</sup> صحيح البخاري ( 6 / 2486 )

<sup>3</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1805 )

رحمه الله : (( وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه و صفحه ))<sup>1</sup> .

وفيه (( احترام بشرية الإنسان بصرف النظر خادما أو ملكا ))<sup>2</sup> .

ولا شك أن هذه المدة الطويلة كافية لمشاهدة تقلبات أمزجة المرء وتحولاته سلوكه ، ولا يستطيع الإنسان طيلتها أن يتصنع أو يتكلف خلقا ليس من طبعه ، وهذا من أكبر البراهين على تأصل الأخلاق الكريمة في نفس رسول الله ﷺ .

ومن إحسان النبي ﷺ لخدمه ومواليه مخالطته لهم وعدم اعتزالهم ، خلاف ما عليه كثير ممن تحته خدم وعمالة فلا يجالسهم ولا يؤاكلهم ، قال أنس رضي الله عنه : (( إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير ))<sup>3</sup> ، ومن فوائد الحديث (( كمال خلقه و عطفه ورأفته وتواضعه ، وأن رعاية الضعفاء ومزيد التآنس بهم والتلطف ، وإدخال السرور عليهم من مكارم الأخلاق المطلوبة المندوبة ))<sup>4</sup> .

و هناك لفظة تربوية مهمة وهو ندائه للطفل الصغير ب : أبا عمير (( والنداء للطفل بكنيته يرفع معنوياته ، ويجعله أشد حبا لمعلمه ومربيه ، وكلما كانت العلاقة بين الطفل ومؤدبه حسنة كانت النتائج إيجابية وسريعة وعظيمة ))<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> شرح صحيح مسلم للنووي ( 15 / 71 )

<sup>2</sup> أساليب الرسول في الدعوة والتربية ص 58

<sup>3</sup> صحيح البخاري ( 5 / 2270 )

<sup>4</sup> أشرف الوسائل في فهم الشائل 329 ، 330

<sup>5</sup> أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين ص 47

ومن مظاهر إحسانه ﷺ إلى مواليه وخدمه تزويجهم ، وقد أمر الله تعالى بذلك { وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }<sup>1</sup> ، وقد زوج رسول الله ﷺ زيد بن حارثة من مولاته أم أيمن . أما هو ﷺ فتسرى بمارية القبطية أم ولده إبراهيم ، وكان غيرة نساءه منها شديدة ، وقد كدن لها حتى حرمها رسول الله ﷺ ابتغاء مرضاتهن فنزل قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }<sup>2</sup> . ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت رضي الله عنه .

### 3- تربيتهم و إرشادهم إلى محاسن الأخلاق .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( يا بني إذا قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال لي : يا بني وذلك من سنتي ، ومن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة ))<sup>3</sup> . و في الحديث تربية رسول الله ﷺ لمن تحته من الخدم وإرشادهم إلى محاسن الأخلاق (( فيصباحهم و يمسيهم على طهارة القلب ونظافة السريرة ، وسلامة الصدر ، استعدادا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ))<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سورة النور الآية 32

<sup>2</sup> سورة التحريم الآية 1

<sup>3</sup> سنن الترمذي 5/ 46 وهو حديث ضعيف ، ضعيف الجامع: 6389

<sup>4</sup> أطفال المسلمين وكيف رباهم النبي الأمين 71



## 4- كفه ﷺ عن أذى خدمه ومواليه .

كثيرا ما يلجأ الرؤساء والسادة إلى الشتم والضرب ونحوهما من التصرفات العنيفة ، لمعالجة أخطاء من تحتهم من المرؤوسين الضعفاء ، وذلك ناشئ من ضعف شخصيتهم وقد يكون نتيجة لتربية خاطئة لديهم من الصغر .

وقد مدح الله تعالى أهل السماحة والإحسان فقال : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } <sup>1</sup> .

وكان رسول الله ﷺ في قمة السماحة في تعامله مع خدمه ومواليه ، (( عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة و خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارمه ، فينتقم لله عز وجل )) <sup>2</sup> ، قال الهيثمي رحمه الله : (( خصهما مع دخولها في ( شيئا ) اهتماما بشأنهما ، ولكثرة وقوع ضرب هذين ، والاحتياج إليه )) <sup>3</sup> .

وهذه شهادة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على سلامة أضعف الضعفاء من يده ﷺ ، وقبله شهادة أنس رضي الله عنه بسلامتهم من لسانه وذلك حقيقة الإسلام كما قال ﷺ : (( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )) <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 134

<sup>2</sup> صحيح مسلم ( 4 / 1814 )

<sup>3</sup> أشرف الوسائل في فهم الشائل ص 504

<sup>4</sup>

## قائمة المراجع و المصادر

- 1- أحكام القرآن ، لأحمد بن علي الرازي أبي بكر الجصاص ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت 1405 هـ
- 2- أساليب الرسول في الدعوة والتربية ، ليوسف خاطر حسن الصوري ، الناشر : صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى .
- 3- أشرف الوسائل في فقه الشمائل ، لأحمد بن حجر الهيتمي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت 1419 هـ
- 4- أطفال المسلمين وكيف رباهم النبي الأمين ، لجمال عبد الرحمن ، ط دار طبية الخضراء - القاهرة ، 1425 هـ
- 5- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت 1415 هـ
- 6- أولاد النبي وأمهاتهم ، لإبراهيم محمد حسن الجمل ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع
- 7- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ، لعبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عساكر، ط دار الفكر - دمشق 1406 هـ
- 8- التحرير والتنوير ، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت 1420 هـ

- 9- الديباج شرح صحيح مسلم بن حجاج ، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط دار بن عفان - الخبر 1416 هـ
- 10- الروض المربع ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة - الرياض 1390 هـ
- 11- السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، الناشر : مكتبة الباز - مكة المكرمة 1414 هـ
- 12- السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، الناشر : دار الجليل - بيروت 1311 هـ
- 13- السيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ط دار الشروق للنشر والتوزيع جدة 1409 هـ
- 14- السيرة النبوية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت 1396 هـ
- 15- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، لمهدي رزق الله ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض 1412 هـ
- 16- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن منيع ، ط دار صادر - بيروت 1968 م
- 17- المدخل ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي بن الحاج ، الناشر : دار الفكر 1401 هـ

- 18- المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت 1411هـ
- 19- المعجم الكبير
- 20- الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط دار السلاسل - الكويت
- 21- المقتفى من سيرة المصطفى ، للحسن بن عمر بن حبيب ، الناشر : دار الحديث - القاهرة 1416 هـ
- 22- المخصص ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل ( ابن سيده ) ، ط دار إحياء التراث العربي ، 1417 هـ
- 23- المسؤولية التربوية للأسرة المسلمة ، لأحمد سعيد الغامدي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم - 1415 هـ
- 24- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، ط دار إحياء التراث العربي - مصر .
- 25- النهاية في غريب الأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت 1399 هـ
- 26- تراجم سيدات بيت النبوة ، لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، ط دار الريان للتراث - القاهرة 1407 هـ
- 27- تحفة الأحوذني شرح سنن الترمذي ، للشيخ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، ط دار الكتب العلمية - بيروت

- 28- تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط دار الفكر - بيروت 1401 هـ
- 29- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت 1421 هـ
- 30- دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد من خلال سيرته الشريفة ، لمحمد رواس قلعة جي ، ط دار النفائس - الأردن 1408 هـ
- 31- حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، ط المكتب الإسلامي - بيروت 1404 هـ
- 32- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري ، ط دار الفكر - بيروت 1405 هـ
- 33- زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن علي بن محمد الجوزي - بيروت 1420 هـ
- 34- سنن أبي داود ، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ، ط دار الفكر - بيروت .
- 35- سنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني ، ط دار الفكر - بيروت .
- 36- سنن الترمذي ، للإمام محمد بن عيسى الترمذي ، الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة 1414 هـ

- 37- سنن الدارمي ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، ط  
دار الكتاب العالمي - بيروت
- 38- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحي  
الشامي ، ط دار الكتب العلمية - بيروت
- 39- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ، لمحمد على الصابوني ( بدون بيانات النشر )
- 40- صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط دار ابن كثير -  
بيروت 1407 هـ
- 41- صحيح ابن خزيمة ، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابوري ط  
المكتب الإسلامي - بيروت 1360 هـ
- 42- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 43- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ط دار  
المعرفة - بيروت .
- 44- فقه السيرة ، للشيخ محمد الغزالي ، الناشر : الندوة العالمية للشباب  
الإسلامي .
- 45- فيض التقدير شرح الجامع الصغير ، لعبد الرؤوف المناوي ، ط المكتبة  
التجارية العظمى - مصر - 1356 هـ

- 46- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، ط دار صادر - بيروت .
- 47- مختصر الشمائل المحمدية ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف - الرياض - 1413هـ

## فهرس الموضوعات

2.....	مقدمة
6.....	مدخل
6.....	خيرية النبي ﷺ لأهله
11.....	المبحث الأول :
11.....	هدية ﷺ في التعامل مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
12.....	المطلب الاول :
12.....	زواج النبي الكريم ﷺ دليل كماله البشري
15.....	المطلب الثاني :
15.....	هدى النبي ﷺ في التعامل مع ارواحه رضي الله عنهن
84.....	المبحث الثالث : هديه ﷺ في التعامل مع أولاده
85.....	المطلب الاول: الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونعمة الاولاد والذرية
91.....	المطلب الثاني : هدى النبي ﷺ في التعامل مع اولاده
114.....	المبحث الرابع : هديه في التعامل مع أقاربه ﷺ
115.....	المطلب الاول :
115.....	النبي ﷺ في كفالة اقاربه
117.....	المطلب الثالث :
117.....	هديه في التعامل مع اقاربه ﷺ
130.....	المبحث الخامس : هديه ﷺ في التعامل مع خدمه ومواليه
138.....	قائمة المراجع و المصادر